تاريخ الإرسال (16-7-2021)، تاريخ قبول النشر (14-11-2021)

التوحيد في سورة يوسف
دراسة تحليلية عقدية

اسم الباحث الأول: عليان محمد الغويرين *،1

اسم الباحث الثاني (إن وجد): أ.د.عطاالله بخيت المعايطة 2

1 اسم الجامعة والبلد (للأول) الجامعة الأردنية

2 اسم الجامعة والبلد (للثاني) المملكة الأردنية الهاشمية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
Email address: Olayyanjuh2021@gmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.3/2022/16

الملخص

تتناول هذه الدراسة بيان مسائل التوحيد في سورة يوسف على لسان يعقوب النبي وبنيه عليه السلام، حيث قام الباحثان باستقراء وتتبع الآيات المتضمنة لمسائل التوحيد والعقيدة والدعوة إليها من قبل أنبياء الله يعقوب ويوسف عليهما السلام، وكيف أنهما عليهما السلام يتعلقان ويعلقان الناس بالله في جميع ظروفهما؛ وأنهما لم يصرفهما صارف عن تأدية رسالة التوحيد والدعوة للعقيدة الصحيحة، وكذلك تتبع الآيات التي يظهر فيها التوحيد والعقيدة عند اخوة يوسف، والآيات التي يظهر فيها بقايا التوحيد عند أهل مصر في ذلك الزمان، (مستنبطاً ذلك) من خلال السورة الكريمة.

كلمات مفتاحية: سورة يوسف، التوحيد، العقيدة، يعقوب، يوسف.

creedal study‹Monotheism in Sūrat Yūsuf- an analytical

Abstract

This study seeks to explore issues of monotheism and creed in the Chapter of Yūsuf (Joseph)‹ as expressed by Ya’qūb(Jacob) -upon whom be peace- and his sons. The researcher analyzed verses pertaining to issues of monotheism and creed and the call to them by Prophets Ya’qūb and Yūsuf -upon whom be peace- and how they both were devoted to - and devoted people to - Allah under all circumstances. And how they did not fail in one instance to convey the message of monotheism and the call to sound creed. Likewise‹ the verses wherein monotheism and creed are mentioned in connection with Yūsuf’s brothers are analyzed; as are those where there is mention of the traces of monotheism amongst the people of Egypt at that time; as are those wherein splintered (innovated) creed is mentioned‹ all of which can be found throughout the noble chapter .

..**Key words:** Sūrat Yūsuf; monotheism; creed; Ya’qūb; Yūsuf

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ما عُبِدَ بأفضل من التوحيد، ولا عُصيَ بأقبح من الشرك، والصلاة والسلام على إمام الموحدين، وهادي المشركين (محمد الهادي الأمين) وعلى إخوانه النبيين الذين أخرجوا الناس من طلاسم الشرك وظلامه إلى نور التوحيد.

أما بعد : فإن هذا البحث يدور حول مسائل التوحيد في سورة يوسف، ومن المعلوم أن أفضل من وحد الله من البشر هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ فهم أعلم الخلق من البشر بالخالق، وهم دعاة التوحيد، ومن خلال تتبع آيات السورة الكريمة واستنباط مسائل التوحيد تبين لدى الباحثَينِ أن جل مسائل التوحيد في السورة الكريمة هي في الآيات التي تتحدث عن يعقوب ويوسف عليهما السلام ـ لذلك كان لها النصيب الأكبر من البحث ـ ويبدأ ذلك منذ أن رأى يوسف الرؤيا وقصها على أبيه عليهما السلام، وتظهر كذلك العقيدة السليمة على ألسنة أخوة يوسف عليه السلام، مع ما عندهم من العقوق الذي يجعل طالب العلم الشرعي فضلاً عن العالم يتأسى بيعقوب ويوسف عليهما السلام في مختلف مراحل حياته ويتحلى بالصبر الجميل وحسن الخلق والمسامحة مع المخالف والعاق والمؤذي، وكذلك يظهر شيء من بقايا التوحيد عند أهل مصر في ذلك الزمان على الرغم من أنهم مشركون يعبدون أربابًا متفرقة من دون الله.

ولا يخفى أن السورة الكريمة تتحدث عن بداية ظهور بني إسرائيل التي بدأت بنبي الله يعقوب عليه السلام، ومع أن يعقوب نبي كريم إلا أن أبنائه (أخوة يوسف) تمردوا عليه سنين طويلة، وأذاقوا أباهم واخاهم من الأذى والعقوق وقطيعة الرحم ما أوضحته السورة الكريمة ولا يخفى على قارئها والمستمع لها، لكنهم تابوا وندموا في آخر الأمر، ولعل هذا العناد والتمرد على الله وعلى انبياءه طول هذه المدة هو : ما تجذر وقوي فيما بعد ونشأ عنه انحراف العقيدة على مر السنين والاعوام في نفوس اليهود ـ حتى وصلوا إلى ما هم عليه الآن، وهم في زيادة من الشر كلما تقدم بهم الزمن.

حدود الدراسة : سورة يوسف و ما يتعلق بالتوحيد.

مشكلة الدراسة : ما مظاهر توحيد الله تعالى في سورة يوسف ؟

وستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية :

1. ما مدى ظهور مسائل العقيدة في السورة الكريمة ؟
2. ما علاقة رؤيا يوسف عليه السلام وتفسيره للرؤى بدعوته لتوحيد الله ؟
3. هل ربط يعقوب رؤيا يوسف بنبوته ؟
4. هل يظهر من خلال السورة الكريمة بقايا للتوحيد عند أهل مصر ؟

أهمية الدراسة:

تعتبر الدراسة التحليلية العقدية لمباحث العقيدة في سور القرآن من أهم الدراسات العلمية، وبما أن سورة يوسف تتحدث عن بداية ظهور بني إسرائيل وتمكنهم في الأرض بفضل أنبيائهم ودعوتهم المباركة لتوحيد الله وللعقيدة الصافية، فإن هذه الدراسة تحظى بأهمية بالغة للأسباب التالية :

1- توضح الدراسة للقارئ أهمية التوحيد والثبات على العقيدة وأهمية الدعوة لذلك.

2- تحلل الدراسة وتناقش قضايا التوحيد التي تضمنتها السورة الكريمة.

3- تحتوي الدراسة على الكثير من العبر والعظات.

أهداف الدراسة:

1. بيان مظاهر التوحيد في سورة يوسف، عند يعقوب وبنيه.
2. بيان بقايا مسائل التوحيد في سورة يوسف، عند أهل مصر.
3. بيان مدى طاعة أخوة يوسف لنبي الله يعقوب عليه السلام، وانعكاس ذلك على سلوك اليهود مع تقدم الزمن.

الدراسات السابقة :

الدراسات والكتب والأبحاث المتعلقة بسورة يوسف كثيرة جدًا، وبعد التقصي والبحث، لم نجد في حدود علمنا دراسة تناولت موضوع التوحيد في سورة يوسف بدراسة مستقلة، سوى :

1- بحث، بعنوان : التحذير من الشرك والحث على التوحيد في ظلال سورة يوسف عليه السلام، تأليف : الخلفي، عبد العظيم بن بدوي، وهو بحث غير محكم، ومثبت في المنظومة، وقد نشر في مجلة الأصالة2 العدد 11، 1994م، ابتدأه المؤلف بقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) } وكذلك استشهد بقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) } ولم يذكر سوى هذه الآيات من السورة الكريمة، ثم استطرد المؤلف في الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم (من غير سورة يوسف) وأحاديث من السنة المطهرة تحذر من مغبة الشرك وتحث على التوحيد، ويقع البحث في نحو تسع صفحات، والفرق بينه وبين بحثنا : أنه لم يتناول جميع مسائل التوحيد في السورة الكريمة.

وهذه بعض الدراسات التي تتحدث عن سورة يوسف، لكنها كغيرها من الدراسات الكثيرة، كما سبق القول : لم تتناول موضوع التوحيد في سورة يوسف بشكل مستقل :

2- سورة يوسف دراسة تحليلية، تأليف : نوفل، د أحمد، وهذه الدراسة تندرج تحت القصص القرآني، حيث تختلف عن دراستنا بفروق عديدة، حيث تحدثت الدراسة عن سورة يوسف كدراسة عامة، وتعريف عام بسورة يوسف، وعن الإعجاز الفني في قصة يوسف، وعن التناسق في سورة يوسف، وعن الجانب الديني في المجتمع المصري، و عن الجانب الدعوي عند يوسف عليه السلام، وتناولت الدراسة تصوير الشخصيات في قصة يوسف وتطورها، والفرق بين دراسة الاستاذ الدكتور احمد نوفل ودراستنا، أن دراستنا تتحدث بعمق عن التوحيد في والجانب العقدي فقط في يوسف، ودراسة الأستاذ الدكتور أحمد نوفل : دراسة تحليلية شاملة لسورة يوسف كما ذكرت سابقاً.

3- اليهود بين القرآن والتلمود،تأليف : مرسي،عادل هاشم، وهو كتيب صغير الحجم مختصر ، من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة(كتب إسلامية)العدد 124، 1971م، تحدث المؤلف فيها عن اليهود في سورة يوسف، ويقصد باليهود : أخوة يوسف الذين كادوا له وألحقوا به الاذى وحسدوه وألقوه في البئر ،ويتحدث المؤلف كذلك عن اليهود في سورة الإسراء وفسادهم واستحقاقهم العذاب بسبب بغيهم، والفرق بينها وبين دراستنا : أنها دراسة صغيرة مختصرة، وأنها تصف اخوة يوسف باليهود ؟! وأن

دراستنا تتحدث عن أخوة يوسف (أبناء يعقوب)الذين قد يكون ما وقعوا فيه من العقوق لوالدهم ومخالفتهم له وهو نبي : هو بداية الانحراف الذي تطور مع الزمن عند إسرائيل، ورسالتنا متعلقة بالتوحيد والعقيدة من خلال سورة يوسف بشكل شامل.

منهج البحث :

المنهج الاستقرائي : حيث اتبع الباحث منهج الاستقراء والتتبع للآيات التي تتحدث عن التوحيد وبعض مسائل العقيدة في سورة يوسف عليه السلام.

المنهج الاستنباطي : وذلك باستخراج قضايا التوحيد وبعض مسائل العقيدة من الآيات الكريمة.

المنهج التحليلي : وذلك لفهم القضايا العقدية الواردة في سورة يوسف.

المنهج النقدي : وذلك بنقد بعض الصفات والأفعال التي ظهرت لدى أخوة يوسف عليه السلام من خلال بعض الآيات الكريمة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن يتم تقسيمها إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

مقدمة : تناولنا فيها أهمية البحث ومشكلة الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطته.

- **المبحث: الأول : المسائل العقدية في سورة يوسف، ويحتوي على مطلبين:**
- **المطلب الأول : المسائل العقدية على لسان يعقوب عليه السلام.**
- **المطلب الثاني: المسائل العقدية على لسان يوسف عليه السلام.**
- **المبحث الثاني : آثار من التوحيد في سورة يوسف، ويحتوي على مطلبين.**
- **المطلب الأول : التوحيد على لسان أخوة يوسف عليه السلام.**
- **المطلب الثاني : بقايا التوحيد عند اهل مصر في سورة يوسف.**
- **الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.**

- **المبحث: الأول : المسائل العقدية في سورة يوسف.**
- **المطلب الأول : المسائل العقدية على لسان يعقوب عليه السلام.**

إن المتتبع لسورة يوسف يجد أن التوحيدَ يظهر جلياً فيها، من أول السورة إلى آخرها ـ كيف لا ؟ وأنبياء الله (يعقوب ويوسف) عليهم السلام قد تخلل ذكرهم هذه السورة الكريمة من أولها إلى آخرها، وأول ما يظهر التوحيد والإشارة للدعوة إليه لما يخاطب يعقوب ابنه يوسف عليهما السلام ويقول له : { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) }[1]، وإنما قال يعقوب ذلك لابنه يوسف لما قص عليه الرؤيا التي رآها وهو غلام صغير ـ وهذا من إرهاصات نبوة يوسف عليه السلام ـ وهو الإرهاص الأول ((وَكَذَلِكَ} كما أكرمك ربك وأعزك بهذه الرؤيا المحققة {يَجْتَبِيكَ} يختارك ويصطفيك {وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ} أحاديث الأمم الغابرة، والكتب السابقة، واستنباط الحقيقة، وتحري أدلة التوحيد، وهذا جميعه من إرهاصات النبوة ومقدماتها)) [2]، وفي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام " الرؤيا الصالحة جزءٍ من ستة وأربعين جزءا من النبوة " [3]، والإرهاص الثاني : تأويل يوسف لرؤيا الفتيان في السجن، والإرهاص الثالث : تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الملك، وشاء الله سبحانه أن تكون نجاة يوسف بما آتاه الله من العلم وبما علَمه من تأويل الأحاديث، وليست بشفاعة أحد.

والأنبياء المذكورين في الآية السابقة على لسان يعقوب عليه السلام هم من خير الأنبياء : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام، ولكن اليهود حرفوا وبدلوا و لطخوا أعراض أنبيائهم وصالحيهم في كتبهم المقدسة (عندهم) ووصموهم بأقبح الأقوال والأوصاف، فعلى سبيل المثال : قالوا عن إبراهيم علسه السلام : (......... فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأُخِذَتِ المرأةُ إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وعبيد وإماء وأتن وجمال)[4]، حيث وصفوا أبا الأنبياء وإمام الحنفاء ابراهيم عليه السلام أنه يتكسب بعرضه، والعياذ بالله.

وقالوا عن أنبياء الله : إسحاق ويعقوب عليهم السلام ـ في قصة ملفقة ـ ظلمات بعضها فوق بعض : أن يعقوب عليه السلام انتحل شخصية أخية عيسو وقدم لأبيه النبي اسحاق الذي كان شيخاً كبيراً فاقداً للبصر ـ قدم له طعاما لينال بركة دعاء أبيه : (............. وقال : ((هل أنت هو ابني عيسو ؟)) فقال : ((أنا هو))، فقال : قدم لي آكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي، فقدم له فأكل، وأحضر له خمراً فشرب، فقال له اسحاق أبوه : ((تقدم فقبلني يا ابني))، فتقدم وقبله، فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال : ((انظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض وكثرة حنطه وخمر، ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل كن سيداً لأخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)[5].

فتجد في القصة السابقة : الكذب والمخادعة من اليهود بحق الله عز وجل، وبحق أنبياء الله : إسحاق ويعقوب عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، والهدف الرئيسي من وراء تلك القصة المزعومة ؛ والله تعالى أعلم هو : حصولهم على البركة من الله

[1] (سورة يوسف : 6)
[2] ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، ج 1، ص280
[3] البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب : التعبير، بابٌ: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة، حديث رقم 6989، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الرؤيا، الجزء 4، ص1774، حديث رقم 2263.
[4] سفر التكوين 12\10– 17
[5] سفر التكوين 27\1- 29.

بدعاء النبي إسحاق عليه السلام لشعبهم المختار بزعمهم، مع أن اليهود أمة غضب الله عليها ولعنها بعد أن زاغت عن دين الله واقترفت أشد الموبقات.

ـ وقد استقرأنا الآياتِ في سورةِ يوسف التي تتحدث عن العقيدة على لسان يعقوب عليه السلام، وهي والله تعالى أعلم :

1ـ قوله تعالى : { وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) }[1]

والشاهد من الآية هو : قوله عز وجل على لسان يعقوب عليه السلام {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}، فقد قدم يعقوب عليه السلام عمله الصالح وهو الصبر الجميل {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ }، قدمه بين يدي دعائه، وهذا الفعل منه عليه السلام أشبه ما يكون بالتوسل بالعمل الصالح، فتقديمه عليه السلام للصبر الجميل بين يدي الدعاء كأنما هو يقدم أحد أنواع التوسل المشروع بين يدي استعانته بربه، (والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع)[2]

ثم هو يستعين بالله على ما ابتلاه الله به من فعل أبنائه، والاستعانة : هي طلب العون من الله تعالى، وهي من المسائل الاعتقادية التي تدخل ضمن توحيد العبادة، لأنه إنما يستعان بالله وحده، كما في الحديث (وإذا استعنت فاستعن بالله)[3] الذي بيده الأمر وله الحكم، جلّ وعلا، قال ابن عطية : (وقوله: { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } تسليم لأمر الله تعالى وتوكل عليه، والتقدير: على احتمال ما تصفون.)[4]

وإفراد الله بالاستعانة وإخلاص الاستعانة به سبحانه دون غيره كل هذا في الاستعانة العبادية[5]، وأما الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهو حاضر أو وهو غائب ويتصل به إما مباشرة أو بكتاب أو اتصال بهاتف ونحو ذلك فإن هذا ليس محظوراً، ولا يخل بالتوحيد، والله أعلم، ويعقوب عليه السلام إنما أراد الاستعانة التعبدية المتضمنة لكمال العبودية لله وتفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى واعتقاد نصرته له، كما في قوله تعالى : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[6]، والإنسان لا غنى له عن ربه وخالقه، قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله (وأجمعوا على أن الإنسان غير غني عن ربه عز وجل في سائر أوقاته، وعلى الرغبة إليه في المعونة على سائر ما أمر به ممتثلين لما أمرهم به في قوله عز وجل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فلم يفرق بين العبادة وبين الاستعانة)[7]

---

(1) (سورة يوسف : 18)

(2) البغوي، الحسين بن محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 4، ص223.

(3) ابن حنبل، أحمد، المسند، جزء من حديث، ج4، ص 410، رقم الحديث :2669، ج4، ص488، حديث رقم : 2763، وقال الشيخ أحمد شاكر : رواه احمد بإسنادين صحيحين، الترمذي، سنن الترمذي، كتاب : صفة القيامة، ج4، ص 667، رقم الحديث : 2516 وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقال الالباني : صحيح.

(4) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص228.

(5) الاستعانة انواع منها، 1ـ الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله، 2ـ الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين، وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين، 3ـ الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها، 4 ـ الاستعانة بالأموات مطلقا أو بالأحياء على أمر الغائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون، 5ـ الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى، أنظر العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، ص 62ـ 63.

(6) (الفاتحة : 5)

(7) الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، ص146.

وقوله تعالى على لسان يعقوب { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ } هو من الاستعانة العبادية التي لا تكون إلا لله وهو كقوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} التي قدم فيها المعمول والتي تفيد الحصر، قال السيوطي (كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا، ولهذا قيل في: {إياك نعبد وإياك نستعين} معناه "نخصك بالعبادة والاستعانة")[1]

2- قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64) **}**[2].

تضمنت الآية السابقة : توحيد للربوبية، وتوحيد للأسماء والصفات، وإثبات لاسم الحافظ، وإثبات لصفة الرحمة، والْحِفْظُ صفةٌ من صفاته تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، قال ابن جرير الطبري : (واختلف القراء في قراءة قوله:{فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا}، فقرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حفِظًا)، بمعنى: والله خيركم حفظًا، وقرأ عامة قراء الكوفيين وبعض أهل مكة:{فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا} بالألف على توجيه "الحافظ" إلى أنه تفسير للخير، كما يقال :"هو خير رجلا"، والمعنى: فالله خيركم حافظًا، ثم حذفت "الكاف والميم"، قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أهل علمٍ بالقرآن، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظًا فقد وصفه بأنه خيرهم حافظًا، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظًا، فقد وصفه بأنه خيرهم حفظًا)[3]، وقد صح عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشهور: " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك "[4]

قوله: {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} : أثبت لله عز وجل الرحمة، بل بين أنه أرحم الراحمين، وقد دل على ثبوت رحمة الله تعالى : الكتاب والسنة والإجماع، والعقل، فأما الكتاب : فجاء به إثبات الرحمة على وجوه متنوعة، تارة بالاسم، كقوله: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، وتارة بالصفة، كقوله: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ}، وتارة بالفعل، كقوله: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ}، وتارة باسم التفضيل، كقوله: {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}. وبمثل هذه الوجوه – جاءت السنة، وأما الأدلة العقلية على ثبوت الرحمة لله تعالى، فمنها ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله عز وجل، ومنها ما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، كله دال على إثبات الرحمة عقلاً، ولو جمعت رحمات الخلق كلهم لكانت رحمة الله أشد وأعظم . أرحم ما يكون من الخلق بالخلق رحمة الأم ولدها، فإن رحمة الأم ولدها لا يساويها شيء من رحمة الناس أبداً، جاءت امرأة في السبي تطلب ولدها وتبحث عنه فلما رأته أخذته بشفقة وضمته إلى صدرها أمام الناس وأمام الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أترون أن هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ " قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: " لله أرحم بعباده من هذه بولدها "[5] ويدلك على هذا أن الله عز وجل خلق مئة رحمة، وضع منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلائق في الدنيا، كل الخلائق من الإنس والجن والدواب تتراحم بهذه الرحمة، ولهذا تجد الدابة الجموح ترفع رجلها عن ولدها مخافة أن تصيبه عندما يرضع حتى يرضع بسهولة ويسر، وكذلك تجد السباع

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الاتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 174

(2) (سورة يوسف : 64)

(3) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج16، ص 160– 161.

(4) جزء من حديث، سبق تخريجه برقم 8.

(5) البخاري(مصدر سابق)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث 5999، ومسلم، (مصدر سابق)، باب في سعة رحمة الله تعالى، ج4، ص2109، رقم الحديث : 2754.

الشرسة ـ تجدها تحن على ولدها وتعطف عليه، بل تجد عند الدابة الضعيفة كالشاة والدجاجة من القوة ما تدافع به عن أولادها الصغار إذا تعرضوا لأذى ـ وذلك من الرحمة التي جعلها الله عند هذه الدواب، والله تعالى أعلم [1].

3ـ قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)}[2].

تتضمن الآية الكريمة أقسام التوحيد الثلاثة : ففي قول الله على لسان يعقوب عليه السلام { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } هو الصبر الموافق للشرع والذي ليس فيه جزع ولا اعتراض على حكم الله وأمره، وهو يدخل ضمن توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله، وهو الذي يقول الله سبحانه عن أهل هذا الصبر { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)}[3]،كما قال مجاهد (صبر ليس فيه جزع)[4]، وأكثر من تحلى بهذا الصبر من البشر هم الأنبياءُ عليهم السلام، ثم أفاضلُ المسلمينَ من العلماءِ والصالحينَ، وذلك لرسوخ العقيدة الصحيحة في قلوبهم وحسن ظنهم بربهم وتوكلهم على الله حق التوكل، وقال ابن تيمية : (والصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه الصلاة والسلام { انما أشكو بثي وحزني الى الله } مع قوله { فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون } فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر الجميل) [5].

وفي قول الله على لسان يعقوب عليه السلام { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } التجاء إلى الله سبحانه، وإظهار للافتقار إليه، وإحسان الظن به سبحانه في أشد حالات الضيق والشدة، ({إنه هو العليم} : بوحدتي، وبفقدهم وحزني عليهم، وصِدْقِ ما يقولون من كذب ما يقولون، { الْحَكِيمُ }: في تدبيره خلقه([6]، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده إلى محمد بن جعفر بن الزبير قوله: الحكيم قال: (الحكيم في عذره وحجته إلى عباده)[7]، وقال السعدي : ({إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} الذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تفريجه ومنَّته، واضطراري إلى إحسانه، {الْحَكِيمُ} الذي جعل لكل شيء قدرا، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية)[8]، وهو توحيد للأسماء والصفات، ووصفٌ لله بأسمائه الحسنى متضمن للدعاء بهذه الأسماء، وتكرار هذه الصفات بحق الله تعالى في هذه السورة الكريمة من يعقوب ويوسف عليهما السلام { إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) } { إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) }، { إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) } يناسب واقع الحال في وقوع هذه الابتلاءات العظيمة وما فيها من الحكمة على يعقوب ويوسف عليهما السلام، وما أراد الله لهما ولأهلهما من خير ورحمة ورفعة في الدنيا والآخرة.

4ـ قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) }[9].

هذا توحيد عبادة، وثقة عظيمة بالله، وحسن ظن به سبحانه وتعالى من يعقوب عليه الصلاة والسلام، حيث أنه يشكو حزنه وبثه لله وحده دون غيره ويحسن الظن بربه، (أي: أجابهم عما قالوا بقوله: {إنما أشكو بثي وحزني} أي: همي وما أنا فيه {إلى الله} وحده {وأعلم من الله ما لا تعلمون} أي: أرجو منه كل خير، وعن ابن عباس: {وأعلم من الله ما لا تعلمون}، يعني رؤيا يوسف

(1) أنظر : العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، ص254-256.
(2) (يوسف : 83)
(3) (الزمر : 10)
(4) المخزومي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ص 393.
(5) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحميد، الزهد والورع والعبادة،ص99.
(6) الطبري، جامع البيان (مصدر سابق)، ج16، ص214.
(7) ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 2184.
(8) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص403.
(9) (يوسف :86).

أنها صدق وأن الله لا بد أن يظهرها وينجزها، وقال العوفي عن ابن عباس {وأعلم من الله ما لا تعلمون} أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سوف أسجد له.)[1].

ويعقوب عليه السلام إنما فعل ذلك لكمال علمه وحسن اعتقاده، كما في الحديث الصحيح (عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: قال الله تعالى : " إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشتك إلى عُوَّاده أنشطته من عقال، وبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ويستأنف العمل ")[2]،وقد شكى يعقوب عليه السلام بثه وحزنه لله وحده، ولم يشتك همه وحزنه لأحد إلا لخالقه، وقد(أجمع المسلمون على أن المسلم يجوز له أن يشتكي إلى الله ما نزل من الضر، والله سبحانه في كتابه قد أمر بذلك، وذم من لا يفعله، قال تعالى: {فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون }، وقال تعالى: {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون }، وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – العباس وغيره أن يسأل العافية في الدنيا والآخرة، ومثل هذا كثير، والعبد إذا اشتكى إلى ربه ما نزل به من الضر وسأله إزالته لم يكن مذموما على ذلك باتفاق المسلمين، والشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، بل الشكوى إلى الخلق قد تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام قال: {فصبر جميل }، وقال: {قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله}.)[3]

5ـ قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : { يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) }[4].

قول الله على لسان يعقوب عليه السلام { وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ } توحيد أسماء وصفات، لأن معنى روح الله هنا : فرج الله ورحمته، كما قال ابن جرير : ({ولا تيأسوا من روح الله} يقول: ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده فيريني إياهما {إنه لا ييأس من روح الله} يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه {إلا القوم الكافرون} يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[5]

ففي أشد حالات الابتلاء التي تعرض لها يعقوب عليه السلام منذُ أن افتقد يوسف عليه السلام إلى تلك الساعة التي قال فيها هذا الكلام العظيم – لم يمر على يعقوب عليه السلام أشد من تلك اللحظة، حيث أصبح عدد أبناءه الغائبين عنه ثلاثة بما فيهم يوسف الذي مضى على فقده سنين طويلة دون أن يعرف عنه شيئاً، وقد زاد الهم والحزن عنده حتى صار كظيماً أبيض العينين (فاقد البصر) من شدة البث والحزن، ومع ذلك تجده في هذه اللحظات العصيبة وقد تكالب الحزن عليه من كل جانب، يطمع في رحمة ربه ولا ييأس، ويؤملُ ابناءَهُ برحمة الله، مع أن الواجب عليهم أن يؤملوه في هذه السنين الخوالي العجاف، وذلك لأنهم يعلمون أن يوسف لم يأكله الذئب، وليس كما حلفوا لأبيهم وهم يبكون قبل سنين طويلة، ولكنه الإيمان بالله وإحسان الظن به سبحانه وتعالى من يعقوب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، حيث يعلّم ابناءَه هذا الدرس العظيم في أحلك الظروف وأشدها { يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) }.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص405-406.
(2) الحاكم، محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، ج1، ص500، رقم الحديث :1290، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، الألباني، السلسلة الصحيحة، ج1، ص549، برقم 272، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج 2، ص793، رقم الحديث :4301.
(3) ابن تيمية، جامع المسائل، ج 4، ص73.
(4) (يوسف : 87)
(5) الطبري، جامع البيان (مصدر سابق)، ج13، ص 314.

ورحمة الله واسعة، وفرجه قريب ({ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ }، أي: من فرجه ورحمته وذلك بعض الرّوح)[1].

والروح لها عدة معاني ويأتي المعنى حسب السياق، كما قال الأزهري في تهذيب اللغة : ((وقد يكون الروح أيضا بمعنى الرحمة قال الله جل وعز : {ولا تايئسوا من روح الله} أي من رحمة الله، سماها روحا، لأن الروح والراحة بها، وكذلك قول الله جل وعز في عيسى {وروح منه} أي رحمة منه تبارك وتعالى، والروح في كلام العرب أيضا النفخ، سمي روحا لأنه يخرج من الروح ومنه قول ذي الرمة في نار اقتدحها وأمر صاحبا له بالنفخ فيها، فقال : فقلتُ لَهُ ارْفَعْها إليكَ وأَحْيِها بِرُوحِكَ واجْعَله لَهَا قِيتَةً قدْراً، أحيها بروحك أي بنفخك)[2].

وكذلك يأتي للروح معاني أخرى، قال ابن القيم : (وجبريل يسمى روح الله، والمسيح اسمه روح الله، والمضاف إلى الله إذا كان ذاتا قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك إلى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله، ليس المراد به بيتا يسكنه ولا ناقة يركبها ولا روحا قائمة به، وقد قال تعالى: { أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه}، وقال تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا }) [3]

وما أجمل العلم ـ وما أحسن أثره على صاحبه وعلى الناس من حوله !(ونهضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون، وعن السدي : {ولا تيأسوا من روح الله} قال: من فرج الله أن يرد يوسف، وقال قتاده : أي من رحمته)[4]

ومن حسنات عدم اليأس من روح الله وأثرها على العبد المتعلق بربه : أن العبد يجتهد ويسعى ويأخذ بالأسباب فيجمع بين عبادة التعلق بالله وعدم اليأس من رحمته وبين أمره سبحانه بالأخذ بالأسباب، كما قال السعدي في تفسيره : ({وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} فإن الرجاء : يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد : فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه، {إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه)[5]، وكذلك فإن اليأس من رحمة الله دليل على إساءة الظن بالله ؛ وعدم الياس من رحمته دليل على إحسان الظن به.

لقد ظهر فضل يعقوب عليه السلام وتأثيره على بنيه في أحلك الظروف وأشدها، حيث أنه شجعهم وعلقهم برحمة الله وحذرهم من اليأس منها، مع أنه كان حزينا فاقداً للبصر من شدة الحزن على يوسف، قد حطمه الناس من حوله وخذله بنوه وهم من أقرب الخلق إليه، لكنه عليه السلام كان متعلقا بربه راجيا لرحمته، يحث ابنائه على التصبر وعلى رجاء ما عند الله من الخير. وليس ذلك من يعقوب عليه السلام إلا ببركة النبوة وفضل العلم الذي علمه الله إياه وإتمام النعمة من الله عليه.

6ـ قوله تعالى :{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) }[6]

في قوله تعالى على لسان يعقوب في الآية السابقة { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } هو علمه عليه السلام بتأويل رؤيا يوسف من قبل وإيمانه بقضاء الله، حيث عقد الآمال على أن هذه الرؤيا ستتحقق بإذن الله تعالى، لذلك كان

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص371.
(2) الازهري الهروي، تهذيب اللغة ج 5، ص 145.
(3) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ج 2، ص 515.
(4) ابن كثير، (مصدر سابق)ج4، ص406.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان (مصدر سابق) ص 404.
(6) (يوسف : 96)

يحب يوسف أكثر من إخوته (حباً شرعياً) إذا جاز التعبير، مما جعل إخوته يحقدون عليه ويحسدونه، والله هو الذي علم يعقوب عليه السلام ذلك، قال ابن جرير : (قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده: ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ويجمع بيني وبينه، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن أخر أنا وأنتم له سجودا، فكنت موقنا بقضائه)[1]

وبالنبوة والعلم والإيمان بقضاء الله افتخر يعقوب، وقال لأبنائه : {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (أي : أعلم أن الله سيرده إلي، وقلت لكم : {إِنِّي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ})[2]، وبالعلم الذي هو ضد الجهل نعت يعقوب نفسه، وبقلة العلم نعت أبناءه، وقد أكد لهم يوسف ذلك من قبل، بل وصفهم بالجهل صراحة، قال تعالى على لسانه { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) }، (فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصراً عليهم، متبجحاً بنعمة الله عليه: {ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون } حيث كنت مترجياً للقاء يوسف، مترقباً لزوال الهم والغم والحزن) [3]، إنها الثقة وحسن الظن بالله من يعقوب عليه السلام.

ويعقوب كان موقناً أن يوسف سيلحق بركب الأنبياء من ابائه كما قال الله على لسانه مخاطبا يوسف في صغره لما قص الرؤيا عليه { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) }، فيعقوب ما عرف ما جرى ليوسف، لكنه يعلم ان رؤياه ستتحقق يوما ما، وما ذلك إلا لحسن اعتقاده بربه وفضل علمه ونبوته عليه السلام.

7ـ قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : { قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[4].

تتضمن الآية السابقة توحيد عبادة، وتوحيد أسماء وصفات لله تعالى، وإثبات لأسماء الله تعالى الغفور والرحيم، (الغفور: هو فعول من قولهم غفرت الشيء إذا سترته...... و فعول موضوع للمبالغة وكذلك فعّال....... والله تعالى المتناهي في هذه الصفات التي تمدح بها فيحسن فيه سبحانه من ذلك ما لا يحسن في غيره ويجيء على قياس قول أبي علي قطرب أن يكون الغفور في ذنوب الآخرة والغفار الذي يسترهم في الدنيا ولا يفضحهم.))[5].

الغفور : الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على من تاب، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} وفي الحديث القدسي : " إن الله يقول يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة "[6]، (وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته)[7].

([1]) الطبري، جامع البيان (مصدر سابق) ج13، ص346

([2]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مصدر سابق) ج4، ص410.

([3]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مصدر سابق) ص 405

([4]) (سورة يوسف : 98)

([5]) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (مصدر سابق) ص 46-47.

([6]) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي طبعة شاكر، ج5، ص548، حديث رقم : 3540، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (مصدر سابق) ج1، ص250، رقم الحديث : 127.

([7]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مصدر سابق) ص219.

ومن المعلوم أنه من عقيدة أهل السنة : أنهم يؤمنون بأسماء الله التي تسمى بها وبما تضمنته من الصفات، قال ابن تيمية : (إن الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى)[1]، وقال ابن القيم : (فإن الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات.........وأهل السنة يثبتون الصفات وحقائق الأسماء، فالأسماء عندهم حقائق وهي متضمنة للصفات)[2]، والعقيدة من الثوابت التي لا تقبل الاجتهاد، وأهل السنة يأخذونها من النصوص الثابتة بالوحي، فعقيدة آدم هي عقدية يعقوب وهي عقيدة محمد عليهم الصلاة والسلام، والأصل أن تكون هي عقيدة أهل السنة.

والإيمان بأسماء الله وبما تضمنته من الصفات هو من صلب العقيدة (وموقف أهل السنة من هذه الأسماء أنهم يؤمنون بها على أنها أسماء لله تسمى بها الله عز وجل فمثلاً الرحيم : من أسماء الله يؤمنون بالرحيم على أنه اسم من أسمائه، ويؤمنون بما تضمنه من صفة الرحمة، وأن الرحمة صفة حقيقية ثابتة لله دل عليها اسم الرحيم، وليست إرادة الإحسان والإحسان نفسه، وإنما إرادة الإحسان والإحسان نفسه من آثار هذه الرحمة، كذلك يؤمنون بأثر هذه الرحمة على من يستحقها، كما قال تعالى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ}.

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة بالنسبة للأسماء:

أولا: يؤمنون بأنها أسماء تسمى الله بها، فيدعون الله بها.

ثانياً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الصفة، لأن جميع أسماء الله مشتقة، والمشتق كما هو معروف يكون دالا على المعنى الذي اشتق منه.

ثالثاً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الأثر)[3]

فلم يكتفي يعقوب عليه السلام بقوله لأبنائه { سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي }، بل أثنى على الله بما هو أهله وبما يناسب واقع الحال من صفاته سبحانه وتعالى، فقال عن ربه { إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ولكل مقام مقال ـ كما يقال، وهذ ثناء من يعقوب عليه السلام على ربه (وهو ضرب من ضروب العبادة) التي لا يحسنها أحد من الخلق كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن وجه آخر: هو تعليم لأبنائه في مقام حاجتهم لدعائه واستغفاره لهم، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: المسائل العقدية على لسان يوسف عليه السلام.

الآيات التي تتحدث عن يوسف عليه السلام في السورة الكريمة كلها تدل على فضله، وتوحيده لربه ودعوته لذلك ومنها :

1ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)}[4].

تتضمن الآية السابقة توحيد ربوبية { قَالَ رَبِّ } والتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وتضرع (توحيد عبادة) في موقف ليس له فيه نصير ولا أحد يشكو إليه ما وقع عليه من كيد سيدته وامرأة مولاه عزيز مصر كلها، وقد أقرت من جميع النساء اللواتي كن قد رأينه وقطعن أيديهن من جمال منظره وحسن صورته، فما كان منه عليه السلام إلا الالتجاء لمولاه العظيم وربه الكريم، فأظهر عجزه وضعفه بعد تفضيله لسجن الدنيا على الفاحشة { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }،والتجأ إلى الله الذي بيده

(1) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 5\35، مجموع الفتاوى 12\512.
(2) ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة. ص 362.
(3) العثيمين : أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها، ص13- 14.
(4) (يوسف : 33)

ملكوت السموات والأرض وأحسن الظن به { وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ }لا قوة إلا بك يا عظيم، أما أنا فإن وكلتني إلى نفسي {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فاستجاب الله له دعاءه وحقق له مراده، وصرف كيدهن عنه { فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، فما خاب من التجأ إلى الله، فآثر يوسف عليه السلام ما عند الله على الجمال والمال والغنى والترف ورغد العيش والمنصب، وذلك لعظم التوحيد ورسوخ العقيدة في قلبه،وقد عصمه الله منهن عصمة عظيمة وامتنع اشد الامتناع[1]، وليس كما يقال : أنه عليه السلام لم يكن له حاجة في النساء – بل كان في قوة شبابه وكمال شهوته مع ما كان من جمال المرأة وتهيئة نفسها والخلوة، ومع ذلك استعصم عن الفاحشة،وعصمه الله سبحانه وتعالى لكمال إيمانه وإخلاصه لربه، فهو من عباد الله المخلصين بالنبوة (فهو نبي معصوم)، ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..." وذكر منهم صلى الله عليه وسلم " ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله "[2]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه، توكلت له بالجنة "[3]

وفي مثل هذه الحالة العصيبة يظهر لطف رب العالمين لمن تعرف إليه في الرخاء (لقد كان يوسف من المخلصين لله الواثقين به، فاستعاذ بربه ولاذ بجنابه، واستقبح أن يقابل جميل من أحسن مثواه بخيانته في عرضه، وذكر ما يصيب الظالمين في العواقب من الدمار والخسارة، وبذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء، وأظهر براءته على رءوس الأشهاد...... ولقد عرف يوسف عليه الصلاة السلام طريق الخلاص، ففزع إلى من بيده القلوب ومقاليد الأمور يصرفها كيف يشاء، وتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته حينما سمع إنذارها له بالسجن إن لم يكن عند رغبتها ويحقق لها ما تريد، وسأل ربه أن يعصمه من الزلل، ويصرف عنه كيد أولئك النسوة.... وما كان الله ليرد عبدا اتقاه، وأخلص له الدعاء، وكان السجن أحب إليه من الفحشاء.)[4]، لقد تعرّف يوسف عليه السلام إلى الله في الرخاء فتعرّف الله إليه في الشدة.

2- قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)}[5].

تحتوي الآيات السابقة الكريمة على جميع انواع التوحيد، وعلى وجوب الإيمان باليوم الآخر والبراءة ممن يكفر باليوم الآخر، وفيها دعوة من يوسف عليه السلام للتوحيد وافتخاره بالانتساب لأهله، ونبذ للشرك وأهله، ونسبة الفضل والمنة في ذلك كله لله وحده.

فتوحيد الربوبية فيها في قوله تعالى على لسان يوسف { ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي }، وفي قوله كذلك { ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ }، وتوحيد الربوبية والألوهية بأن الحكم له وحده سبحانه في قوله تعالى { إِنِ الْحُكْمُ إِلا

(1) أنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، 4\ 386– 387.
(2) البخاري (مصدر سابق)، كتاب الأذان، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم :660، مسلم، (مصدر سابق): باب اخفاء الصدقة، ج 2، ص 715، رقم الحديث : 1031.
(3) البخاري (مصدر سابق)، كتاب الحدود، باب : فضل من ترك الفواحش، حديث رقم : 6807.
(4) عفيفي، عبدالرزاق، فتاوي ورسائل، ص193– 194.
(5) (يوسف : 37– 40).

لِلَّهِ }، (وقوله: { إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ } أي ليس لأصنامكم التي سميتموها آلهة من الحكم والأقدار والأرزاق شيء، أي فما بالها إذن؟ ويحتمل أن يريد الرد على حكمهم في نصبهم آلهة دون الله تعالى وليس لهم تعدي أمر الله في أن لا يعبد غيره)[(1)]

وتوحيد الألوهية ووجوب الإيمان باليوم الآخر والبراءة ممن يكفر بذلك، ونسبة الفضل والمنة لله في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ } (يقول : إني برئت من ملة من لا يصدق بالله ويقرّ بوحدانيته {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}، يقول: وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله، لا يقرّون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب)[(2)].

والدعوة لتوحيد الله وحده لا شريك له، والكفر بالطاغوت ونبذ الشرك، وأنه لا يعبد إلا هو سبحانه في قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }، (لم يشغله ما أصيب به من تتابع البلاء عن ربه ودينه والدعوة إلى ما ورثه من التوحيد عن آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، فانتهز حاجة من معه في السجن إليه في تأويل ما رأياه في منامهما، فبدأ بالحديث عن نفسه تعزيزا لمركزه حتى يقبل عنه قوله، ثم نصح لهما في التوحيد وزينه، وحذرهما عن الشرك وقبحه، وأقام على ذلك الحجة مع لطف وتذكير بالصحبة في البلاء، كل ذلك قبل تأويل الرؤيا ليكون أدعى إلى الإصغاء والقبول وأبعد عن الإعراض، وقد أطال في ذلك وجعله المقصود، فانظر إلى سلامة فطرته وصحة عقيدته وتناسيه البلاء، وذكره لأسلافه وأمجاده الطاهرين المصلحين، ليتخذ منهم قدوة له في التوحيد والدعوة إليه والحذر من الشرك وبيان فساده بالحجة والبرهان) [(3)].

ويوسف عليه السلام كان متبعاً لآبائه الأنبياء مع ما عنده من الفطرة السليمة والعلم والحكمة (ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء....... فإن كان آباؤه مهتدين كيوسف الصديق مع آبائه، قال: {واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب}، وقال ليعقوب بنوه: {نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق}، وإن كان الآباء مخالفين الرسل كان عليه أن يتبع الرسل، كما قال تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما}[(4)].)[(5)].

ومع أن سورة يوسف تتحدث عن قصته الجميلة الحسنة، إلا أن التوحيد والدعوة إليه ونبذ الشرك، والانتساب للموحدين والبراءة من المشركين يتخلل السورة الكريمة من أولها إلى آخرها ليزيدها جمالاً وحسناً، و (قصة يوسف عليه السلام ذكرت متكاملة في سورة واحدة، والذي يهمنا منها في هذا الفصل هو دعوته إلى التوحيد داخل السجن وتعريفه السجناء بالله الواحد الأحد، بينما يوسف عليه السلام في السجن إذ جاءه فتيان سجينان معه يسألانه عن تعبير الرؤى، فطمأنهما أولاً بأنه سيعبر لهما ما رأيا، بل يخبرهما بما سيحمل إليهما من طعام، ليزيد اهتمامهما بكلامه فيشتاقا لسماعه، وأراد يوسف استغلال الموقف لنشر التوحيد، فبدأ بإسناد ذلك العلم إلى الله وحده، وهذا بداية التنبيه على الوحدانية ونبذ الشرك والأصنام حيث بين لهم أولًا أن هذا العلم الذي حصل

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز،ج3، ص246.
(2) الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (مصدر سابق) ج16، ص101
(3) عفيفي، الشيخ عبدالرزاق، فتاوى ورسائل(مصدر سابق) ص 194 -195
(4) (العنكبوت : 8)
(5) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص314-315.

عنده هو من تعليم الله إياه: {قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} ثم زادهما معرفة وترقى في الطعن بأصنامهم، فبين أنه ليس على ملة أهل مصر الذين يعبدون الأصنام، وإنما هو على ملة آبائه وأجداده ملة التوحيد الخالص: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ}، ثم بين لهما أن الهداية إلى التوحيد ونبذ الأصنام إنما هو من فضل الله، وجدير بمن هداه الله أن يشكره، وأول نتائج شكره إخلاص التوحيد له دون الأنداد والأوثان: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ})[1].

وقد ظهر العلم على يوسف عليه السلام مبكراً، وظهرت إرهاصات النبوة عليه كذلك كما سبق ذكر ذلك، وعلم الوحي وما ينبثق عنه هو أفضل العلم وهو أساس الدعوة إلى الله عند جميع الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء الكرام عليهم السلام، (فالعلم أساس هام في الإيمان بالله، وركن بارز في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، فهذه الآية تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه على طريق يوسف – عليه السلام– الذي كان على ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام، تلك الملة القائمة على الكفر بالطاغوت، والالتزام الدقيق بالتوحيد الخالص والتي بينها يوسف – عليه السلام – بقوله : { قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ})[2] ودعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة.

3ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) }[3].

في قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ } في هذه الآية وفي الآية رقم 23 من السورة الكريمة في قوله تعالى : { قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) } : هذا توحيد عبادة، والتجاءٌ إلى الله (استعاذة بالله) بأن يحفظه من أن يصدر منه، عليه السلام هذا الفعل الذي هو: الفاحشة في زوجة سيده الذي اكرمه وأحسن مثواه، وكذلك التجاء واستعاذة بالله أن يصدر منه هذا الظلم وهو{ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ } : أخذ إنسانٍ بجريرة غيره، وهو بمعنى قوله تعالى { وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} وقوله تعالى {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}، لأن أخذ إنسان بجريرة إنسان آخر: ظلم، كما قال يوسف عليه السلام { إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ }، والامتناع عن هذا الظلم : من العدل والحكم بما أنزل الله، وهو التزام بعهد الله وميثاقه وتطبيق للعدل وعدم الظلم، (وقوله { معاذ الله }، أي: نلتجئ إليه ونستنصر به أن نفعل ذلك، فإن ذلك سوء نتحاشى من تعاطيه، والْعُوذَةُ : ما يعاذ به من الشيء، ومنه قيل للتميمة والرقية: عُوذَةٌ– وعَوَّذَهُ: إذا وقاه)[4].

فيتضح مما سبق التزام يوسف عليه السلام بالعدل وعدم الظلم أمام اخوته ومن حضر في مجلسه، وقد سبق أن قال يوسف عليه السلام { مَعَاذَ اللَّهِ } في حواره مع امرأة العزيز لما دعته للفاحشة، فقال { مَعَاذَ اللَّهِ } وهذه منه عليه السلام : توحيد عبادة، والتجاءٌ إلى الله (استعاذة بالله) بأن يحفظه ويعصمهٍ من أن يصدر منه، عليه السلام هذا الفعل الذي هو فاحشة، وهو مأجور على

---

(1) ملكاوي، محمد أحمد،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ج1، ص221.
(2) الجربوع، عبدالله بن عبد الرحمن، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ج1، ص69-70.
(3) (يوسف : 79).
(4) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن (مصدر سابق) ص 595

خوفه من ربه وعلى التجائه إليه، (فهذا مما يدل على أنه تركها من أجل الله وأنه مأجور في تركها وإذا كان هذا ـ فلا ذنب ولا عتب يلحق يوسف عليه السلام، صغيرا ولا كبيرا، بل يكون مأجورا في الترك)[1].

4ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : { قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) }[2].

قوله تعالى على لسان يوسف في الآية السابقة : { قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا } فيه إثبات لصفة المنّ وهي العطاء، وهي المشتقة من اسمه : المنّان : وهو المنعم المعطي وهذا توحيد أسماء وصفات' لا من المنة، وقد ثبت هذا الاسم لله تعالى في السنة، فعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال :(سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال: " لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب ".)[3]، (ولهذا قال: { وَهَذَا أَخِي} وهم يعرفونه لأن قصده: وهذا المظلوم كظلمي {قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا}، قال ابن عباس: بكل خير في الدنيا والآخرة، وقال آخرون: بالجمع بيننا بعد التفرقة)، {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيِصْبِرْ} قال ابن عباس: من يتق الله ويصبر على المصائب وعن المعاصي، وقال مقاتل: من يتق الزنا ويصبر على الأذى)[4]

ومعنى المنان هو: المنعم المعطي، ("مَنَنَ"، في أسماء الله تعالى " المنّانّ " هو : المنعم المعطي، من المن : العطاء، لا من المنة، وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنان من أبنية المبالغة، كالسفاك والوهاب، ومنه الحديث "ما أحد أمن علينا من ابن أبي قحافة " [5]، أي ما أحد أجود بماله وذات يده، وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا إلا منة واعتدا به على من أعطاه، وهو مذموم لأن المنة تفسد الصنيعة)[6].

قوله { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } توحيد ألوهية أو المسمى : توحيد عبادة، لأن الله أمر بالتقوى وأمر بالصبر في كتابه في مواطن كثيرة، ({إنه من يتق ويصبر}، يقول: إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر، يقول: ويكف نفسه فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله، {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}، يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه)[7].

والصبر وقت المصيبة مع أداء ما افترضه الله على العبد من الأدلة على قوة الإيمان (والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور، ويصبر على المقدور، قال في قصة يوسف: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، فالتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه)[8]، فعبادة الصبر من أفضل العبادات، وإذا قرنت بالتقوى سلمت من الوقوع في المحذور، ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي، وأفضل من تحلى بذلك هم الأنبياء عليهم السلام ثم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

---

(1) ابن خمير، علي بن أحمد السبتي، تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ص 48
(2) (سورة يوسف 90)
(3) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد (مصدر سابق) ج19، ص 238، رقم الحديث : 12205، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال المحقق(الشيخ شعيب) : صحيح بطرقه.
(4) الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد.
(5) والمراد هو : أبوبكر، رضي الله عنه، والحديث : رواه مسلم (مصدر سابق) ج4، ص 1854، رقم الحديث 2382 بلفظ (إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر
(6) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 4، ص365-366.
(7) الطبري (مصدر سابق)، ج13، ص328.
(8) الدوسري، فالح بن احمد،التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، ج 2، ص131

5ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) }[1]

في هذه الآية الكريمة يظهر فضل يوسف النبي عليه السلام، وعلمه ورحمته، فقد جمع هذا النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الكلمات العظيمة بين الصفح والمسامحة عن أخوته الذين ألحقوا به وبأبيه الكثير من الأذى، وبين الدعاء لهم بالمغفرة فوق ذلك، ثم توحيده لربه بأسمائه وصفاته العلى، وقد تناسى اليهود منذ أزمنة بعيدة وقرون مديدة كل هذه المكارم والطاعات التي ورّثها لهم أنبيائهم الكرام عليهم السلام،ولم يعد عندهم إلا الفساد والظلم والتعدي على الخلق، هذا بالإضافة لإلحادهم في أسماء الله وصفاته، وقد أثبت يوسف عليه السلام لله :

1- صفة المغفرة لله، بقوله { يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم } وهي من اسم الغفور، والغفار، (والغفور هو فعول من قولهم غفرت الشيء إذا سترته........ ويجيء على قياس قول أبي علي قطرب أن يكون الغفور في ذنوب الآخرة والغفار الذي يسترهم في الدنيا ولا يفضحهم [2])، وذكر بعض أهل العلم تفسيراً للغفور ـ الذي هو من أسماء الله تعالى : (وهو الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب ففي الحديث: إن الله يقول يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة [3])، ورحمة الله سبحانه وتعالى واسعة، و(الغفار أصل الغفر في الكلام الستر والتغطية يقال اصبغ ثوبك فهو أغفر للوسخ أي أحمل له وأستر، ومعنى الغفر في الله سبحانه هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره) [4].

2- وأثبت صفة الرحمة لله تعالى بقوله { وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } فوصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمة الله لإخوته، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وفي الحديث الصحيح لما رأى عليه السلام امرأة في السبي تبحث عن وليد لها فقدته، فلما وجدته ألصقته على صدرها وارضعته، قال عليه الصلاة والسلام ((الله أرحم بعباده من هذه بولدها))[5].

3ـ وأثبت يوسف عليه السلام، لفظ الجلالة (الله)، الذي ألحد اليهود فيه وحرفوه إلى : يهوه، ويوهيم، و(الله : هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده المحمود وحده المشكور وحده المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام، واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم.........فإذا تدبر اسم الله عرف أن الله تعالى له جميع معاني الألوهية، وهي كمال الصفات والانفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال)[6]، وقد تجرأ اليهود على الله والحدوا في أسماءه وصفاته، وكلما تقدم بهم الزمن زادوا الحادا في صفات الله العظيم.

6ـ قوله تعالى : {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) }[7].

في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } لأن الله قد مكن ليوسف عليه السلام في مصر يتبوأ من أرضها حيث يشاء، قال لأبيه واخوته : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، و(لما كان يوسف قد تقدم إلى إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم

---

(1) (يوسف : 92)
(2) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص46-47.
(3) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص219،
(4) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص37-38
(5) البخاري (مصدر سابق) كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص1277، مسلم (مصدر سابق)، باب : في سعة رحمة الله تعالى، ج 4، ص 2109، حديث رقم : 2754.
(6) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص164-165.
(7) (سورة يوسف : 99).

خرج لتلقيهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام، ويقال : إن الملك خرج أيضا لتلقيه، وهو الأشبه)[1].

وفي الآية السابقة توحيد لربوبية الله عز وجل وإثبات لمشيئته المطلقة، والمشيئة هي : الإرادة، (والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث)[2]، ويوسف عليه السلام أراد النوع الأول وهي إرادة الله أو مشيئته الكونية التي لا يخرج عنها شيء من العالمين.

والمشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر في عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، و(المرتبة الثالثة : الإيمان بعموم مشيئة الله عز وجل وأنها الموجبة لكل ما في الوجود فما وقع في الوجود من عمل فإنما وقع بمشيئة الله، وما لم يقع إنما لم يقع لأن الله عز وجل لم يشأ وقوعه ولو شاء وقوعه لوقع، وهذا معنى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }، {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}، {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ})[3].

وإثبات المشيئة لله تعالى هو إثبات لربوبيته (فإثباتها إثبات لربوبية الله عز وجل وسيادته السيادة الكاملة والمباشرة على خلقه، فإرادته جل وعلا ومشيئته نافذة فيهم في الصغير والكبير والحقير والجليل، ومن أنكرها فقد طعن في هذه الربوبية المطلقة على الخلق، لأن إنكارها معناه أنه يوجد في هذا الوجود شيء لا يريده الله ولا يشاءُهُ، وقد يشاءُ أمرا فلا يقع، فأي طعن في ربوبية الله عز وجل أعظم من هذا الطعن؟ وأي تنقص للرب جل وعلا أعظم من هذا التنقص؟ وهو كاف في نقض التوحيد وانهدام أركانه، لأنه إذا كانت مشيئته غير نافذة فملكه ناقص وعجزه ظاهر، ومن هذه صفته لا يصلح للربوبية ولا أن يكون معبودا، تعالى الله عن ذلك، ومعلوم من حال ملوك البشر أن الملك الذي يصدر شعبه عن رغبته وينصاع لأمره وإرادته فيهم أعظم ملكا من الملك الذي يأمر ولا يطاع ويريد ولا تنفذ إرادته، بل هذا الأخير ليس له من الملك في الحقيقة إلا اسمه، فالله عز وجل أحق بإثبات الحال الأكمل، وملكه وسيادته وربوبيته أعلى وأظهر من كل ملك وسيادة، والأمور جميعها منوطة به جل وعلا، قال سبحانه: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ})[4]

7- قوله تعالى : { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) }[5].

من المسائل العقدية التي تضمنتها الآية السابقة في قوله سبحانه وتعالى { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا } : السجود ـ وهو : الانحناء، حيث سجد جميع أخوة يوسف وأبوه وأمه (وقيل : خالته) له عليه السلام، والمدقق في الآية والمتتبع للتفاسير يعلم أنها تحتوي على توحيد لربوبية الله سبحانه وتعالى من يوسف عليه السلام واعتراف بمنة الله وفضله ونعمه عليه

(1) ابن كثير، مصدر سابق. ج4، ص 411
(2) الحنفي، شرح الطحاوية (مصدر سابق) ج1، ص79.
(3) العمراني : الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ج 1، ص48.
(4) المصدر السابق، ص58
(5) (يوسف : 100)

وعلى والديه وإخوته، حيث نسب الفضل لله، فبعد أن أجلس والديه على العرش وخروا له ساجدين (سجود تقدير واحترام) وهو الانحناء ـ حيث كان مباحا في شريعتهم، ثم بين لأبيه بحضور إخوته أن هذا هو تأويل الرؤيا التي رآها قبل سنين طويلة، وأن الله جعلها حقا ؛ حيث وقع تفسيرها، { وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ }.

وفي قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } توحيد لأسماء الله وصفاته، وإظهار لمعاني صفات الله وأثرها على يوسف وإخوته ووالديه، وإثبات لأسماء الله : اللطيف والعليم والحكيم،({إن ربي لطيف لما يشاء} أي: إذا أراد أمراً قيض له أسباباً ويسره وقدره، {إنه هو العليم} بمصالح عباده {الحكيم} في أفعاله وأقواله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده)[1]

ومن معاني اسم اللطيف، أن : أصل اللطف في الكلام خفاء المسلك ودقة المذهب، واستعماله في الكلام على وجوه، يقال : 1- فلان لطيف إذا وصف بصغر الجرم،2- وفلان لطيف إذا وصف بأنه محتال متوصل إلى أغراضه في خفاء مسلك، 3- وفلان لطيف في علمه يراد به أنه دقيق الفطنة حسن الاستخراج له، والذي يستعمل منه وهو في وصف الله يفيد أنه المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون وهذا مثل قول الله تعالى {ويرزقه من حيث لا يحتسب}، وقوله تعالى { وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون } [2].

وهو من أسماء الله الحسنى (الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا والخبايا وما احتوت عليه الصدور وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه وأصفيائه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وسهل لهم كل طريق يوصل إلى مرضاته وكرامته وحفظهم من كل سبب ووسيلة توصل إلى سخطه من طرق يشعرون بها ومن طرق لا يشعرون بها، وقدر عليهم أموراً يكرهونها لينيلهم ما يحبون، فلطف بهم في أنفسهم فأجراهم على عوائده الجميلة وصنائعه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح، فاللطيف متقارب لمعاني الخبير، الرؤوف، الكريم، ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه السلام تلك الأحوال........من رؤياه، وحسد إخوته له وسعيهم في إبعاده جدا واختصامهم بأبيهم، ثم محنته بالنسوة، ثم بالسجن، ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة، وانفراده بتعبيرها، وتبوئه من الأرض حيث يشاء، وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء، والامتحان ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار وازالة الأكدار وصلاح حالة الجميع والاجتباء العظيم ليوسف، عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها هي من لطف الله به، فاعترف بهذه النعمة فقال : {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} أي لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلا لذلك وأهلاً له فلا يضعه إلا في محله) [3].

وفي قوله تعالى في الآية السابقة على لسان يوسف عليه السلام {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } : هذه من أسماء الله الحسنى التي وصف يوسف ربه بها سبحانه وتعالى لمناسبتها لواقع الحال، حيث أن الله هو العليم بدقائق ما جرى ويجري ليوسف عليه السلام، وهو الحكيم الذي اقتضت حكمته وقوع تلك الأحداث وتسلسلها عبر هذه السنين الطويلة لحكم أرادها سبحانه وتعالى، (العليم والعالم بمعنى واحد، وفعيل وفاعل يشتركان في كثير من الصفات، قالوا ضريب وضارب وعريف وعارف في العالم,وحكي عن قطرب أن

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مصدر سابق) ج 4، ص413
(2) أنظر : الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (مصدر سابق)، ص 44-45.
(3) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (مصدر سابق) ص 225 ــ 227، باختصار بعض الكلام.

قولنا عليم في اسم الله تعالى يفيد العلم بالغيوب ففي إعادة اللفظين الآن معنى حسن)[1]، ولكن الذي تطمئن إليه النفس أنه لا ترادف في المعاني والكلمات، وأن كل اسم من أسماء الله له معنى، والله أعلم.

والعليم : اسم من أسماء الله، الحسنى ؛ وكل اسماءه حسنى، (وهو متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، وقال تعالى {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، وقال تعالى {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ})[2]

والحكيم، كذلك من أسماء الله الحسنى، وهو سبحانه وتعالى الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، وهذا من حكمته التي تخفى على البعض، ولاتصافه بصفات الكمال : لا ينزل الشيء غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل الأمور ، وأعلم بما يصلح لخلقه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، والحكمة : وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها، والحكيم : الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم الذي يعلم مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، وهذا لا يكون إلا له سبحانه، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال { لا يسئل عما يفعل }، وحكمته نوعان :

أحدهما : الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق، وهو غايته ومقصوده، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزءِ من الجزيئات المخلوقة وكل عضو من الأعضاء خلقته وهيئته وصورته التي لن يكون أصلح منها ولا أفضل منها، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

النوع الثاني : الحكمة في شرعه وأمره الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة، فلقد شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، ليقيم الحجة على العباد ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فأي حكمة وفضل أجل من ؟ فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وإخلاص العمل له وحده وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وهو المطلوب منهم فعله بحق ربهم

سبحانه، ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه يصلح الدنيا والآخرة، ومع ذلك أجمع العالم كله على حرب هذا الدين - الذي هو رحمة لهم، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإن أمة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه، كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، وانعكس ذلك على غيرهم بالخير والصلاح في الدنيا، ولما انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم، ثم ظهر الفساد والظلم في شتى بقاع الأرض من الأمم الأخرى التي بلغت في القوة والحضارة والمدنية مبلغاً هائلاً، ولكن لما كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله، كان ضررها أعظم من نفعها، وشرها أكبر من خيرها، وعجز علماؤها وحكماؤها وساستها عن تلافي الشرور الناشئة عنها، ولن يقدروا على ذلك ما داموا على حالهم [3].

---

(1) الزجاج، تفسير اسماء الله الحسنى (مصدر سابق)، ص 39–40.
(2) العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص7.
(3) أنظر :السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (مصدر سابق)، ص 186-189.

8ـ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) }[1].

يتجلى توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات في الآية السابقة في كل كلمة منها، فيعترف يوسف عليه الصلاة والسلام بفضل الله عليه وينسب الفضل لربه فيما آتاه من الملك – ملك مصر وخزائنها، وتعليم الله له تأويل الأحاديث وهي الرؤى ؛ وربما أراد النبوة.

ثم يصف ربه بأنه سبحانه وتعالى { فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو مبدعهما وخالقهما من العدم على غير مثال سابق، روى الطبري بسنده في تفسيره، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت لا أدري ما { فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: "أنا فَطَرتها "، يقول: أنا ابتدأتها [2].

ثم يظهرُ الافتقارَ لربه في الدنيا والآخرة وأنه لا غنى له عن ربه سبحانه وتعالى، ثم يطلب من الله أن يميته على الاسلام والتوحيد الذي هو دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام، وأن يلحقه بالصالحين في الدار الآخرة، وهكذا يرى المؤمنُ العاقلُ فضلاً عن النبي الكريم : الدنيا لمّا تزهو وتزهر وتكون قد أينعت له وبلغت الذروة ـ يراها إلى زوال ورحيل أقرب منها إلى بقاء ودوام ؛ فيشرئب إلى الآخرة (دار البقاء) وتتوق نفسه للنعيم المقيم ولقاء الصالحين من النبيين والصديقين، ثم يوقن بحقيقة فقره إلى رحمة ربه، ويسأل الله حسن الختام والثبات على الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم والموحدين جميعهم { **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** }، مع أنه عليه السلام قد قضى جزءً كبيراً من حياته في السجن وقبلها كان مملوكاً لعزيز مصر بعد أن باعوه بضاعة – لكنها النفس الكبيرة (نفس النبي) عليه السلام – التي يؤمن صاحبها بأن ما عند الله هو خير وأبقى، (يقول تعالى ذكره: قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكنه في الأرض، متشوّقًا إلى لقاء آبائه الصالحين: { رب قد آتيتني من الملك}، يعني: من ملك مصر، {وعلمتني من تأويل الأحاديث }، يعني من عبارة الرؤيا، تعديدًا لنعم الله عليه، وشكرًا له عليها { فاطر السموات والأرض}، يقول: يا فاطر السموات والأرض، يا خالقها وبارئها { أنت وليي في الدنيا والآخرة }، يقول: أنت وليي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك، وتغذوني فيها بنعمتك، وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك، { توفني مسلمًا}، يقول : اقبضني إليك مسلمًا {وألحقني بالصالحين}، يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك)[3].

ومهما بلغ العبد من الطاعة والأعمال الصالحة فإنه يعلم أنه لا غنى له عن ربه طرفة عين، و(قوله تعالى: { تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } فيه ثلاثة أشياء: سؤال ضرورة، وإظهار فقر، واختيار فرض– ومعناه : أمتني وأنا مسلم إليك أمري، مفوض إليك شأني، لا يكون لي إلى نفسي رجوع بحال ولا تدبير بسبب من الأسباب)[4]

---

(1) (يوسف : 101)

(2) الطبري، (مصدر سابق) ج9، ص175، والأثر أخرجه : البغدادي، أبو عبيد، القاسم بن سلام،فضائل القرآن، ص206، والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ج3، ص212.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج16، ص278.

(4) التستري، سهل بن عبدالله، تفسير التستري، ص83.

- **المبحث الثاني : آثار من التوحيد في سورة يوسف، ويحتوي على مطلبين.**

المطلب الأول : التوحيد على لسان أخوة يوسف عليه السلام.

على الرغم من معصية أبناء يعقوب لأبيهم عليه السلام، وما فعلوه بأخيهم يوسف عليه السلام ـ إلا أنك تجدهم موحدين سليّمي العقيدة ـ هذا بالإضافة أنهم تابوا وندموا، ومن مسائل التوحيد والعقيدة عندهم ما يلي :

1- إيمانهم بالجزاء والحساب.

قال تعالى : { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) }[1]

في قول الله تعالى على لسان أخوة يوسف : { إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } : توحيد ألوهية (توحيد عبادة)، فالصدقة عبادة من العبادات، ومن يتصدق يقع أجره على الله، بل إن قولهم هذا يتضمن الإيمان باليوم الآخر والجزاء على الأعمال الصالحة، وهو دليل على إيمانهم بأن الله يجازي على الأعمال الصالحة أجراً ومثوبةً، وهذا نظير قول الله تعالى { إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ }[2]، وقوله في الحديث القدسي عن أبي هريرة، عن النبيَ صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تبارك وتعالى: " يا ابن آدم، أَنفق أُنفِق عليك ") [3]، والآيات والاحاديث بهذا المعنى كثيرة.

والمقصود من إيراد النصوص والأقوال السابقة هو أن قول الله على لسان أخوة يوسف { إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } يدخل ضمن توحيد العبادة لله تعالى، وابتغاء الأجر والثواب على ذلك من الله، ويتضمن الإيمان باليوم الآخر والجزاء على الأعمال.

2ـ إيمانهم بالقدر الشرعي

قال تعالى على لسانهم : {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) }[4].

في قول الله على لسان أخوة يوسف { تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا } إيمانٌ منهم بالقدر الشرعي وما يكرمُ اللهُ به عبده الطائع مقارنة مع من يعصيه، حيث قارنوه عليه السلام بأنفسهم، واتضح لهم فضله ومنزلته وما أكرمه الله به وفضّلَهُ عليهم، مع اعترافهم بخطئهم وظلمهم له، وقد قارنوا حاله بحالهم، واتضح لهم جلياً ما حباه الله وأكرمه، ثم أقروا بما بدر منهم بحقه { وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ }، وكأنهم يستسلموا ويذعنوا لما آل إليه حال يوسف عليه السلام وما استحقه من تكرمة الله له ورفع منزلته، مقارنة مع ما آل إليه حالهم وما استحقوه من سوء الحال، مع تذكير يوسف عليه السلام قبل ذلك لهم بقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، وبذلك يتضح فضل الطائع على العاصي، وبركة التقوى على المعصية ـ هذا في الدنيا، فكيف بما أعده الله سبحانه لعباده الطائعين له، والصابرين على ما اصابهم.

3ـ توسلهم بدعاء الصالحين، وتوبتهم وندمهم على الذنوب وإثباتهم صفة المغفرة لله.

قال تعالى على لسانهم : { قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) }[5].

---

(1) (يوسف : 88)

(2) (التغابن 17).

(3) مسلم (مصدر سابق)، ج2، ص690،، باب الحث على النفقة، حديث رقم : 993.

(4) (يوسف : 91).

(5) (يوسف : 97)

طلبُ أبناءِ يعقوبَ من أبيهم عليه السلام أن يستغفر لهم : قسم من أقسام التوسل المشروع الذي يجهل تفاصيله وتأصيله بعض من ينتسب إلى العلم الشرعي في هذا الزمان وللأسف، وذلك لسببين :

الأول : أن أقسام التوسل المشروع ثلاثة أقسام وهي[1]:

1-التوسل باسم من أسماء الله أو صفةٍ من صفاته.

2. التوسل بالأعمال الصالحة.

3. التوسل بدعاء الغير من الأنبياء والصالحين. [2]

الثاني : أن بعض من ينتسب إلى العلم الشرعي في هذا الزمان يخلط بين التوسل والاستغاثة من جهة، ومن جهة أخرى يخلط بين أقسام التوسل[3] المشروعة والممنوعة [4]

والاستغفار والندم شرطان من شروط التوبة توفرا لدى أخوة يوسف عليه السلام، فقد طلبوا من أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام أن يستغفر لهم { قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا }، واعترفوا بذنبهم بقولهم {إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ } ندموا على ما فعلوا بأبيهم النبي الشيخ الكبير، حيث خطفوا ابنه من بين يديه ومن أمام عينيه بتحايل وخديعة وظلم – لو قلت أنهم تجردوا من الرحمة وامتلأت قلوبهم قسوةً وظلماً على أخيهم الطفل الصغير المحبوب لوالده النبي، ومعلوم أن الأنبياء معصومون، وأخوة يوسف لم يعطوا هذه العصمة حقها وما رعوها حق رعايتها، ولم يعطوا الأبوة حقها، ولم يرحموا ضعف الوالد وشيخوخته وتقطع قلبه على ولده طول هذه المدة التي تفلق الكبد وتذهب بالبصر وتهد الحيل والقوة، ولم يرحموا طفلاً بريئاً مسلماً رحماً، بل تجاوزوا كل ذلك، فلقد ارتكبوا عدة كبائر مجتمعة، بل تراكم الظلم لديهم وامتدت أعوامه كل هذه السنين العجاف بحق يعقوب النبي الوالد الشيخ الكبير الضعيف الجسد { وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } ومن شدة قسوتهم وظلمهم لم يثبت في سورة يوسف أن أحدهم اعترف لأبيه طول هذه المدة بما فعلوا مجتمعين، فهم قد أحكموا الخطة المتفق عليها بينهم والتي حاكوها بليل ونفذوها بمكر تزول منه الجبالُ الشمُ ويتفلقُ منهُ الصخرُ الأصمُ { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ } وإذا ما حن الوالد المعصوم المكلوم للولد المفقود المأمول بنبوته واصطفائه، قالوا بقسوة وظلم وغلظة وتجرؤ على النبي الوالد المعصوم الفاقد لثمرة فؤاده { قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) }، إصرار على المعصية والعقوق والغلظة.

ولكن لما تجتمع النبوة والأبوة ـ تكون النتيجة والثمرة بما يدهش العقل { قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } رحمة الوالد بأبنائه، وعقيدة النبي نحو التائبين المعترفين بالخطأ، وإذا كان أهل السنة هم : أعلم بالحق وأرحم بالخلق[5]، فكيف بالأنبياء المعصومين المصطفين الأخيار، عليهم من ربي أفضلُ الصلاةِ وأتمُ التسليمِ، ولكن أخوة يوسف عليه السلام تابوا وندموا، و((الندم توبة[6])) كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

(1) أنظر: عرقسوس، طلال بن مصطفى، كتاب : التوسل في كتاب الله عز وجل، (ص60 : التوسل بدعاء الصالحين).

(2) الرفاعي، نسيب، التوصل إلى حقيقة التوسل ـ المشروع والممنوع، ص22، والألباني : التوسل أنواعه وأحكامه، ص 38.

(3) أوجه التوسل الممنوع. من كتاب التوصل إلى حقيقة التوسل، للرفاعي، نسيب، ص185 : الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسل به، كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالى بجاه أو حقه أو حرمته أو بركته كأن يقول المتوسل :اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك أو بحرمته أو ببركته أن تقضي حاجتي، الوجه الثالث: الإقسام على الله بالمتوسل به كأن يقول :اللهم أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي، قلنا : وفي جواز التوسل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم خلاف بين أهل العلم، وجماهير العلماء على عدم الجواز، والله أعلم.

(4) أنظر : ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص34، 243، 327.

(5) أنظر : حول هذا التأصيل : ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج5، ص158.

(6) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج2، ص 1420، رقم الحديث : 4252، وانظر: الألباني، صحيح الجامع. ج2، ص1750، رقم الحديث : 6802.

والخلاصة : أن أبناء يعقوب توسلوا بدعاء أبيهم النبي وطلبوا منه أن يستغفر لهم ربهم، واعترفوا بخطئهم، وأن يعقوب عليه السلام وعد أبناءه أن يستغفر لهم، وأثبت لله اسم : الغفور المتضمن صفة المغفرة واسم الرحيم المتضمن صفة الرحمة، وهذا منه عليه السلام : توحيد لأسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني : بقايا التوحيد عند أهل مصر في سورة يوسف.

استقرأنا الآيات التي يظهر فيها شيء من التوحيد من السورة الكريمة عند أهل مصر في زمن يوسف عليه السلام في الفترة التي لم يظهر فيها يوسف عليه السلام، بل ما زال مستضعفاً لما كان فتىً في بيت عزيز مصر، ولما كان في السجن، وكما سيمر معنا أنه يظهر شيء من التوحيد والفطرة من خلال كلامهم الذي قاله الله تعالى على ألسنتهم في السورة الكريمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم صحة كلام بعض الكتّاب والفلاسفة والمؤرخين الذين لا ينقلون عن أهل مصر في ذلك الزمان والذي قبله إلا الشرك وعبادة الآلهة، كالديانة الطوطمية[1] ونحوها، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} وقال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}، وقال تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا (9) }، لذلك كان يظهر شيء من التوحيد على ألسنة الناس في ذلك الزمان – مع أنهم مشركون ؛ كما قال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }.

فمن هذه الآيات : 1. قوله تعالى على لسان العزيز : **{ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(29)}**[2] فأمر امرأته باستغفار ربها مما فعلته من هذه المراودة ليوسف، ثم أنها اتهمته بذنبها ورمته بعرضه وهو محصن عفيف – ومع أنهم كانوا على الشرك، لكن فيهم شيء من التوحيد، كما قال ابن كثير : ({واستغفري لذنبك} يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلا أو أنه عذرها، لأنها رأت ما لا صبر لها عنه، فقال لها: {واستغفري لذنبك} أي: الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب، ثم قذفه بما هو بريء منه، استغفري من هذا الذي وقع منك، {إنك كنت من الخاطئين})[3].

وظاهر الآية يدل على أن العزيز أمر امرأته بالاستغفار مما بدر منها من مراودة يوسف عن نفسه واتهامه بذلك، حيث جمعت بين المعصيتين ـ معصية المراودة ومعصية قذف المحصنات، (والقرآن قد دل على ذلك حيث قال زوجها : {يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك} فأمره لها بالاستغفار لذنبها دليل أنهم كانوا يرون ذلك ذنبا ويستغفرون منه، وإن كانوا مع ذلك مشركين، فقد كان العرب مشركين وهم يحرمون الفواحش ويستغفرون الله منها حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع هند بنت عتبة بن ربيعة بيعة النساء على أن لا تشرك بالله شيئا ولا تسرق ولا تزني، قالت: أوَ تزني الحرة ؟ وكان الزنا معروفا عندهم في الإماء)[4]، وكذلك فإن الزنا مما تستقبحه النفوس السليمة وتأباه الطبائع الكريمة لأنه من رذائل الأخلاق.

ومنها : 2. قوله تعالى **{ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) }**[5].

---

(1) يزعم بعض المؤرخين أن الطوطمية : هي أقدم ديانة ؛ حيث تنتسب القبيلة إلى حيوان أو كوكب أو مخلوق معين وتظن أنه يحميها من المخاطر ؛ لذلك يعبدونه من دون الله، أنظر : علي، د جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص169.

(2) (يوسف : 29).

(3) ابن كثير (مصدر سابق) ج4، ص384.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج 15، ص146

(5) (يوسف : 31)

في الآية السابقة لفتة إلى أن النساء لما رأين يوسف عليه السلام أعظمنه و أجللنه لمكانته وظهور هيبة طاعته لله على سمته ووجهه ؛ وهذا معنى قوله تعالى { أَكْبَرْنَهُ }، وفيها لفتة كذلك أن الناس يصفون الملائكة بالجمال، وهذا التصور ما جاء إلا من طرق الشرائع، فقد وصف الله الملائكة بقوله سبحانه {كراما كاتبين }، وكذلك قالت النسوة عن يوسف عليه السلام { حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ }، (فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف وقلن: {حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم})[1].

ويظهر كذلك من الآية أن الله جمع ليوسف عليه السلام بين حسن الصورة وجمالها وبين حسن السمت وهيبة المنظر التي تأخذ بمجامع القلوب،{قالت فذلكن الذي لمتنني فيه}، (تقول هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق بأن يُحَبَ لجماله وكماله، {ولقد راودته عن نفسه فاستعصم} أي: فامتنع. قال بعضهم: لما رأين جماله الظاهر، أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن، وهي : العفة مع هذا الجمال)[2]، وهذا عام في الأنبياء جميعا عليهم السلام ؛ لكن يوسف عليه السلام أعطاه الله جمال الصورة مع ما حباه من الهيبة وحسن السمت (فالمراد من هذا التشبيه إما تشبيه يوسف بالملك في صورته أو في سيرته، والثاني أولى لأنه شبهه بالملك الكريم والملك إنما يكون كريما بالسيرة لا بالصورة فثبت أن المراد تشبيهه بالملك في نفي دواعي الشهوة ونفي الحرص على طلب اللذات الحسية، وإثبات ضد ذلك، وهي صفة الملائكة . وهي غض البصر ومنع النفس عن الميل إلى المحرمات)[3].

ولا يخفى أن الأنبياء جميعا قد كملوا في خلقتهم وقوتهم وجمال صورتهم وكملوا في حسن السمت والسيرة، وقد يشبه وصف الأنبياء عليهم السلام بالعموم وصف الملائكة من حيث كمال القوة وجمال المنظر، حيث أن الملائكة (خلقهم الله على صور جميلة كريمة قال تعالى في جبريل: (علَّمه شديد القوى – ذو مرةٍ فاستوى) قال ابن عباس: (ذو مرة) : ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خَلْقٍ طويل حسن، وقيل: ذو مرة: ذو قوة، ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر، وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: {فلما رأينه أكبرنه وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ})[4]، بل إن الله جعل للعلماء هيبة في قلوب الخلق ؛ فكيف بالأنبياء عليهم السلام ؟.

فهنا قالت النساء : { حَاشَ لِلَّهِ }، وفي الآية رقم 51 من السورة الكريمة { قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} فقولهن : { حَاشَ لِلَّهِ } هو: (تنزيه واستثناء[5])، (وقال مجاهد وغير واحد: معاذ الله [6])، فتبين انهن يعرفن الله ويستعذن به ؛ مع أنهن لسن بمسلمات . بل وثنيات كغيرهن من أهل مصر في ذلك الزمان . وهذا يدل على وجود شيء من التوحيد عندهن.

ومنها : 3. قوله تعالى على لسان امرأة العزيز :**{ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) }**[7].

تتضمن الآية السابقة : إيمان ببعض فروع الشريعة وتوحيد ربوبية وإيمان بالقدر الكوني والشرعي من امرأة العزيز، مع أنها لم تكن مسلمة في ذلك الزمان، (تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر ولا وقع المحذور

(1) الحنفي، شرح الطحاوية (مصدر سابق)، ج2 / ص418
(2) ابن كثير، (مصدر سابق)، ج 4، ص386.
(3) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الحبائك في أخبار الملائك، ص 221.
(4) الأشقر، عمر سليمان، عالم الملائكة الأبرار، ص12.
(5) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (مصدر سابق) ص 2264.
(6) ابن كثير، (مصدر سابق) ج 4، ص 386.
(7) (يوسف : 52)

الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، {وأن الله لا يهدي كيد الخائنين}، { وما أبرئ نفسي} تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، {إلا ما رحم ربي} أي: إلا من عصمه الله تعالى، {إن ربي غفور رحيم} هذا القول هو الأشهر والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، رحمه الله، فأفرده بتصنيف على حدة)[1].

والذي يظهر من سياق القصة، ومن سيرة الأنبياء عليهم السلام أن (ظاهر نظم الكلام أن الجملة من قول امرأة العزيز، وعلى ذلك حمله الأقل من المفسرين، وعزاه ابن عطية إلى فرقة من أهل التأويل، ونسب إلى الجبائي، واختاره الماوردي، وهو في موقع العلة لما تضمنته جملة {أنا راودته عن نفسه} وما عطف عليها من إقرار ببراءة يوسف عليه السلام – بما كانت رمته به، فالإشارة بذلك إلى الإقرار المستفاد من جملة {أنا راودته} أي ذلك الإقرار ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أخنه..... والخيانة: هي تهمته بمحاولة السوء معها كذبا، لأن الكذب ضد أمانة القول بالحق..... لأن علة إقرارها هو علمها بأن الله لا يهدي كيد الخائنين ـ ومعنى لا يهدي كيد الخائنين : لا ينفذه ولا يسدده، فأطلقت الهداية التي هي الإرشاد إلى الطريق الموصلة على تيسير الوصول، وأطلقت نفيها على نفي ذلك التيسير، أي إن سنة الله في الكون جرت على أن فنون الباطل وإن راجت أوائلها لا تلبث أن تنقشع{ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق }[2]، وسواء أرادت يوسف عليه السلام أو زوجها بقول الله على لسانها { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ }، المهم أن مقام النبوة وعصمة الأنبياء وسياق الكلام يقتضي أن هذا قولها وليس هو قول يوسف عليه السلام، والله أعلم.

وسياق القصة كما سبق القول يقتضي أن الكلام هو كلام امرأة العزيز، حيث أن يوسف لم يخرج من السجن بعد، وأن من قال من المفسرين أنه كلام يوسف فقد أخطأ، والله أعلم ـ كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم (فهذا كله كلام امرأة العزيز، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك ولا سمع كلامه ولا رآه، ولكن لما ظهرت براءته في غيبته – كما قالت امرأة العزيز: {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب} أي لم أخنه في حال مغيبه عني وإن كنت في حال شهوده راودته – فحينئذ: {وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين} وقد قال كثير من المفسرين إن هذا من كلام يوسف ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول وهو قول في غاية الفساد ولا دليل عليه ؛ بل الأدلة تدل على نقيضه)[3]، (فتأمل ما أعجب أخر هذه المرأة أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها ثم اعتذرت عن نفسها ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر، فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظا ومعنى وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالى وبحقه وإن أشركوا معه غيره، ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال {وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ})[4]

(1) ابن كثير (مصدر سابق) ج4،ص394– 395
(2) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج12، ص292– 293.
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مصدر سابق)، ج10، ص298.
(4) ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص321.

ومنها : 4. قوله تعالى على لسان امرأة العزيز : **{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) }**[1].

وقول الله على لسان امرأت العزيز في هذه الآية { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } استثناء لمن رحم الله من الأنفس ـ حيث أن الأصل أن النفس امارة بالسوء إلا ما رحم الله، ثم تقول { إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } وهذا منها توحيد لأسماء الله وصفاته تعالى، ولكن وكما هو معلوم، فإنه لا بد من توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، والمستلزم لتوحيد الأسماء والصفات كما هو مقرر عند علماء العقيدة، حيثُ أن أهل مصر لم يكونوا في ذلك الزمان يوحدوا الله توحيد العبادة (توحيد الألوهية)، بل كانوا بعبدون آلهة أخرى.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية، المتضمن لتوحيد الربوبية..... كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه القرآن وهو يتضمن التوحيد في العلم والقول، والتوحيد في الإرادة والعمل.) [2].

وقال الشيخ مرعي الكرمي : (وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعتقد إثبات الله وصفاته ويعبده ولا يشرك به شيئا، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل له سبحانه) [3].

وقال الشيخ شمس الدين الأفغاني :ميزات وخصائص كبرى لتوحيد العبادة وهي تدل على أهميته إلى الغاية ؛ وأنه هو الغاية العظمى والمقصد الأسنى، والهدف الأسمى والمطلب الأعلى، الجامع المتضمن لتوحيد الربوبية، المستلزم لتوحيد الأسماء والصفات[4].

خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث

في ختام هذه الدراسة تبين للباحِثَينِ : أن المتتبع للآيات من سورة يوسف يجد أن جل الآيات التي تتحدث عن يعقوب ويوسف عليهما السلام، هي متضمنة لمسائل عقيدة التوحيد والدعوة إليها، ويجد أثر عقيدة التوحيد الصحيحة عند أخوة يوسف كذلك، بل يجد شيئاً من بقايا التوحيد عند أهل مصر رغم أنهم على الشرك، ويمكن أن نجمل ذلك في النقاط التالية:

1. أن سورة يوسف تحتوي على مسائل التوحيد المهمة.
2. يظهر من خلال استقراء آيات السورة الكريمة اعتناء يعقوب ويوسف عليهما السلام بالدعوة لتوحيد الله ونشر العقيدة السليمة ـ حتى في أحلك الظروف وأشدها.
3. يتضح وجود بقايا لأثر الفطرة السليمة وشيء من التوحيد عند أهل مصر. تم العناية بها وتنميتها من قبل يوسف عليه السلام.

أهم التوصيات:

يوصي الباحثان بما يلي.

1. استقراء وتتبع سور وآيات القرآن الكريم لاستخراج التوحيد والعقيدة الصحيحة والعمل على نشرها في الناس من قبل العلماء والخطباء والدعاة.

---

(1) (يوسف : 53)
(2) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (مصدر سابق) ج3، ص289– 290.
(3) الكرمي، مرعي، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، ص67.
(4) الأفغاني، شمس الدين، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ج1، ص 148.

2. عمل أبحاث علمية ورسائل جامعية تتبناها بعض كليات الشريعة في بعض الجامعات ـ لدراسة مسائل العقيدة والتوحيد من خلال سور القرآن الكريم، وتقسيمها على طلبة الدراسات العليا (تخصص العقيدة).

3. استفادة العلماء وطلاب العلم الشرعي من سيرة الأنبياء الكرام عليهم السلام ؛ والسير على خطاهم من خلال سور القرآن الكريم في الدعوة إلى عقيدة التوحيد الصحيحة ؛ وتحمل المشاق ؛ والصبر على ذلك ـ حتى في أحلك الظروف وأشدها.

المصادر والمراجع

1- ابن الأثير، المبارك بن محمد 1399هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي (د، ط) بيروت، الناشر: المكتبة العلمية.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل، 1417هـ – 1997 م، الجامع المسند الصحيح، باهتمام عبد المالك مجاهد، ط1، الرياض، الناشر : دار السلام.

3- البغوي، الحسين بن مسعود، 1420هـ، معالم التنزيل، تحقيق :عبدالرزاق المهدي، ط1، بيروت، الناشر : دار إحياء التراث العربي.

4- ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، 1383هـ – 1964 م، أوضح التفاسير، ط6 (د. م)، الناشر : المطبعة المصرية ومكتبتها.

5- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، 1416هـ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق : محمد احمد الحاج، ط1، السعودية – جده، الناشر : دار القلم – الدار الشامية.

6- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، 1422هـ، مختصر الصواعق المرسلة،اختصره : محمد ابن الموصلي، تحقيق :سيد إبراهيم، ط1، مصر، الناشر : دار الحديث.

7- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، 1408 هـ، الفتاوى الكبرى، ط1، (د. م)، الناشر : دار الكتب العلمية.

8- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، 1422هـ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق : ربيع بن هادي عمير،ط1، عجمان، الناشر : مكتبة الفرقان.

9- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،1406هـ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،تحقيق : محمد رشاد سالم ط1،السعودية، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

10- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، 1416هـ، مجموع الفتاوي، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (د، ط)، المدينة النبوية، السعودية، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

11- التستري، سهل بن عبدالله، 1423هـ، تفسير التستري، تحقيق : محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت لبنان، الناشر : محمد علي بيضون، دار التب العلمية.

12- بن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد، 1419هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : أسعد محمد الطيب، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.

13- ابن حنبل، أحمد بن محمد، 1421هـ –2001م، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط1، (د. م)، الناشر: مؤسسة الرسالة.

14- ابن خمير، علي بن أحمد، 1411هـ، تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، لبنان الناشر: دار الفكر المعاصر.

15- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 1984م، التحرير والتنوير، (د.ط)، تونس، الناشر : الدار التونسية للنشر.

16- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، 1422هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبدالسلام محمد، ط1، بيروت، الناشر : دار الكتب العلمية.

17- ابن كثير، إسماعيل بن عمر،1420هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، ط2،(د. م) الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع.

18- ابن ماجة، محمد بن يزيد، (د. ت)، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (د. ط)، (د.م)، الناشر : دار إحياء الكتب العربية.

19- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، 1413 هـ، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبدالله الجندي، (د. ط)، السعودية، الناشر : الجامعة الاسلامية.

20- الأشقر، عمر بن سليمان،1403 هـ، عالم الملائكة الأبرار، ط 3، الكويت، الناشر : مكتبة الفلاح.

21- الأصفهاني الراغب، الحسين بن محمد، 1412هـ،المفردات في غريب القرآن، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق، بيروت، الناشر : دار القلم،الدار الشامية.

22- الأفغاني، شمس الدين بن محمد، 1416هـ، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (رسالة دكتوراه)، ط1، السعودية، الناشر : دار الصميعي.

23- الألباني، محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح، 1415هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (الجزء الأول)، ط1، الرياض، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

24- الألباني، محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح، 1421هـ، التوسل أنواعه وأحكامه، تحقيق : محمد عيد العباسي، ط1، الرياض، الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

25- الترمذي، محمد بن عيسى، 1395هـ، سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2،، مصر، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

26- الجربوع، عبدالله بن عبدالرحمن، 1423هـ، أثرالإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط 1، المدينة المنورة، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

27- الحاكم، محمد بن عبد الله، 1411هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، ط 1، بيروت، الناشر : دار الكتب العلمية.

28- الحنفي، صدر الدين محمد بن أبي العز، 1417 هـ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالله التركي، ط 10، بيروت، الناشر : مؤسسة الرسالة.

29- الدوسري، فالح بن مهدي، 1413هـ، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، ط3، المدينة المنورة، الناشر : مطابع الجامعة الإسلامية.

30- الرفاعي، محمد نسيب، 1399هـ، التوصل إلى حقيقة التوسل – المشروع والممنوع، ط3، بيروت، الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر.

31- الزجاج، إبراهيم بن السري،(د. ت) تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق، (د، ط)، (د. م)، الناشر : دار الثقافة العربية.

32- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 1420هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق : عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت، الناشر : مؤسسة الرسالة.

33- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 1421هـ، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق عبيد بن علي العبيد، المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية.

34- السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر، 1394 هـ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل، (د. ط)، مصر، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

35- السيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر، 1405 هـ، الحبائك في عالم الملائك، تحقيق : محمد زغلول، ط1، بيروت - لبنان، الناشر : دار الكتب العلمية.

36- الطبري، محمد بن جرير، 1420هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت، الناشر : مؤسسة الرسالة.

37- العثيمين، محمد بن صالح، 1424هـ، أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها،ط1، (د. م)، الناشر : دار الشريعة.

38- العثيمين، محمد بن صالح، 1419 هـ، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق : سعد فواز الصميل، ط5، الرياض - السعودية، الناشر : دار ابن الجوزي.

39- العمراني، يحيى بن أبي الخير، 1419هـ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق سعود الخلف، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، الناشر : أضواء السلف.

40- فاندايك والبستاني، 1991م، ترجمة الكتاب المقدس، شتوت جارد، ألمانيا، The Bible Society in the Middle East

41- الكرمي، مرعي بن يوسف، 1410هـ، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، تحقيق : أسعد محمد المغربي، ط1، مكة المكرمة - السعودية، الناشر : دار حراء.

42- عرقسوس، طلال بن مصطفى،1424هـ، التوسل في كتاب الله عز وجل، ط : السنة السادسة والثلاثون، المدينة المنورة، الناشر : الجامعة الإسلامية.

43- عفيفي، الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي (د. ت)، فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي، (د. ط)، الرياض، الناشر : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء.

44- علي، جواد، 1422هـ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، (د. م)، الناشر : دار الساقي للنشر والتوزيع.

45- المخزومي، مجاهد بن جبر، 1410هـ، تفسير مجاهد، تحقيق : د. محمد عبدالسلام، ط1، مصر، الناشر : دار الفكر الحديثة.

46- مسلم، بن الحجاج القشيري، (د. ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

47- ملكاوي، محمد أحمد،1405 هـ،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط1،(د. م)، الناشر : مكتبة دار الزمان.

48- الهروي، محمد بن أحمد، 2001 م، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

49- الواحدي، علي بن أحمد، 1415هـ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق :عادل احمد وآخرون، ط1، بيروت ـ لبنان، الناشر : دار الكتب العلمية.

Sources and references:

1- Ibn al-Atheer، Majd al-Din al-Mubarak Ibn Muhammad، 1399 AH، The End in Gharib al-Hadith and Athar، (In Arabic)، achieved by: Taher Ahmad al-Zawi - Mahmoud Muhammad al-Tanahi (d، i) Beirut، Publisher: The Scientific Library.
2- Al-Bukhari، Muhammad bin Ismail، 1417 A.H. - 1997 A.D.، Al-Musnad Al-Sahih Mosque، (In Arabic)، with interest by Abdul Malik Mujahid، I 1، Riyadh، publisher: Dar Al-Salaam.
3- Al-Baghawi، Al-Hussein bin Masoud، 1420، Milestones of Downloading، (In Arabic)، Investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi، 1st Edition، Beirut، Publisher: Heritage Revival House.
4- Ibn al-Jawzi، Jamal al-Din Abu al-Faraj، Abd al-Rahman ibn Ali، 1422 AH، Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir، (In Arabic)، achieved by Abd al-Razzaq al-Mahdi، 1st edition، Beirut، publisher: Dar al-Kitab al-Arabi.
5- _ Ibn al-Khatib، Muhammad Muhammad Abd al-Latif، 1383 AH - 1964 AD، the clearest interpretations، (In Arabic)، 6th edition (d. AD)، publisher: The Egyptian Press and its Library.
6- _ Ibn al-Qayyim، Muhammad ibn Abi Bakr، 1416 AH، Hidayat al-Hiyara fi Ajawabeh al-Yahwis wa al-Nasara، (In Arabic)، investigation: Muhammad Ahmad al-Hajj، 1st edition، Saudi Arabia - Jeddah، publisher: Dar al-Qalam - al-Dar al-Shamiya.
7- Ibn al-Qayyim، Muhammad ibn Abi Bakr، 1422 AH، the summary of al-Sawa'iqal-Mursala، (In Arabic)، abbreviated by: Muhammad ibn al-Mawsili، investigation: Syed Ibrahim، 1st edition، Egypt، publisher: Dar al-Hadith.
8- _ Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1408 AH، al-Fatwa al-Kubra، (In Arabic)، i 1، (d. AD)، publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
9- _ Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1422 AH، a great base on tawassul wa al-Wasilah، (In Arabic)، achieved by: Rabee bin Hadi Omair، i 1، Ajman، publisher: Al-Furqan Library.
10- _ Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1406 AH، Minhajal-Sunnah in refuting the words of the Qadarite Shiites، (In Arabic)، investigation: Muhammad Rashad Salem، 1st edition، Saudi Arabia، Publisher: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University.
11- _ Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1416 AH، Majmoo' al-Fatawa، (In Arabic)، investigation: Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim، (d، i)، the Prophet's city، Saudi Arabia، publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an.
12- Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1422 AH، Jami` al-Masa`il، (In Arabic)، investigative:Muhammad Aziz Shams، 1st edition، (d. m) Publisher: Dar Alam Al-Fawa`id.

13- Ibn Taymiyyah، Ahmad ibn Abd al-Halim، 1407 AH، asceticism، piety and worship، (In Arabic)، editedby: Hammad Salama، Muhammad Uwaidah، 1st edition، Jordan، publisher: Al-Manar Library.
14- Ibn Khameer، Ali bin Ahmed، 1411 AH، the prophets are exalted from what the scum of the idiots have been attributed to them، (In Arabic)، investigation: Muhammad Radwan Al-Daya، 1st edition، Lebanon، Publisher: Dar Al-Fikr Al-Moaser.
15- Ibn Hanbal، Ahmad Ibn Muhammad Ibn Hanbal، 1421 AH -2001 AD، Al-Musnad، (In Arabic)، edited by: Shuaib Al-Arna`ut - Adel Morshed، and others، ed1، (d. M)، publisher: Foundation for the message.
16- _ Ibn Attia Abd al-Haq ibn Ghalib، 1422 AH، the brief editor in the interpretation of the dear book، (In Arabic)، achieved by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad، 1، Beirut، publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
17- _ Ibn Katheer، Ismail bin، 1420 AH، Interpretation of the Great Qur'an، (In Arabic)، investigative: Sami bin Muhammad Salama، 2nd Edition، (Dr. M) Publisher: Taiba House for Publishing and Distribution.
18- Ibn Majah، Muhammad bin Yazid، (m. T)، Sunan Ibn Majah، (In Arabic)، invitiagacion : Muhammad Fouad Abd al-Baqi، (d. I)، (d. M)، editor : Dar Revival of Arabic Books.
19- _ Al-Ash'ari، Abu Al-Hassan Ali Bin Ismail، 1413 AH، a letter to the people of the gap in Bab-alAbwab، (In Arabic)، investigated by: Abdullah Al-Jundi، (Dr. i)، Saudi Arabia، publisher: the IslamicUniversity.
20- Al-Isfahani Al-Ragheb Al-Hussein Bin Muhammad، 1412 AH، Vocabulary in the Strange Qur'an، (In Arabic)، achieved by: Safwan Adnan Al-Daoudi، 1، Damascus، Beirut، publisher: Dar Al-Qalam، Al-Dar Al-Shamiya.
21- Al-Afghani، Shams Al-Din Bin Muhammad، 1416 A.H.، The Efforts of Hanafi Scholars in Refuting the Doctrines of Al-Quburi (PhD Thesis)، (In Arabic)، 1st Edition، Saudi Arabia، Publisher: Dar Al-Sumaei.
22- Al-Albani، Muhammad Nasir al-Din، ibn al-Hajj Nuh، 1415 AH، the series of authentic hadiths and some of their jurisprudence and benefits (Part One)، (In Arabic)، i 1، Riyadh، publisher: Knowledge Library for publication and distribution.
23- Al-Albani، Muhammad Nasir al-Din، ibn al-Hajj Nuh، (d. T)، Sahih al-Sagheer and its addition، (In Arabic)، (d.، i)، Jordan - Amman، publisher: The Islamic Office.
24- Al-Albani، Muhammad Nasir al-Din، ibn al-Hajj Nuh، 1421 AH، types and provisions of tawassul، (In Arabic)، investigation: Muhammad Eid al-Abbasi، 1st edition، Riyadh، Publisher: Knowledge Library for Publishing and Distribution.
25- Al-Tirmidhi، Muhammad bin Issa، 1395 AH، Sunan Al-Tirmidhi، (In Arabic)، investigative: Ahmed Muhammad Shakir، Muhammad Fouad Abdul-Baqi، Ibrahim Atwa Awad، 2nd floor، Egypt، publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company.
26- Fandike and Albostani -1991، The Bible Society in the Middle Eaest. (In Arabic)،
27- Al-Jarbou'، Abdullah bin Abdul Rahman، 1423 A.H.، The effect of faith in immunizing the Islamic nation against destructive ideas، (In Arabic)، I 1، Al-Madinah Al-Munawwarah، publisher: Deanship of Scientific Research at the Islamic University.
28- Al-Hakim، Muhammad bin Abdullah، 1411 AH، Al-Mustadrak on the Two Sahihs، verified by: Mustafa Abdul Qadir Atta، (In Arabic)، i 1، Beirut، publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya
29- _ Al-Hanafi، Muhammad bin Alaa Al-Din bin Abi Al-Ezz، 1417 A.H.، Explanation of the Tahawiyah Creed، (In Arabic)، investigated by Shuaib Al-Arnaout and Abdullah Al-Turki، 10th edition، Beirut، publisher: Al-Resala Foundation.

30- Al-Dosari، Faleh bin Mahdi، 1413 AH، Al-Tuhfa Al-Mahdiyeh، Explanation of the Palmyra Creed، (In Arabic)، 3rd Edition، Medina، Publisher: Islamic University Press.
31- _ Al-Rifai، Muhammad Nassib، 1399 A.H.، Reaching the Truth of Begging - The Project and the Forbidden، 3rd Edition، Beirut، Publisher: Lebanon House for Printing and Publishing.
32- _ Al-Zajjaj، Ibrahim bin Al-Sari، (d. T.) Interpretation of the Beautiful Names of Allah، (In Arabic)، investigated by: Ahmed Youssef Al-Daqqaq، (d.)، (d. M)، publisher: Arab Culture House.
33- Al-Saadi، Abdul Rahman bin Nasser، 1420 AH، Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Mannan، (In Arabic)، achieved by: Abdul Rahman bin Mualla Al-Luhaiq، 1st Edition، Beirut، publisher: Al-Resala Foundation.
34- Al-Suyuti: Abd al-Rahman bin Abi Bakr، 1405 A.H.، Al-Habaek in the World of Angels، (In Arabic)، investigative: Muhammad Zaghloul، 1st Edition، Beirut - Lebanon، publisher: Dar al-Kutubal-Ilmiyya.
35- Al-Suyuti: Abd al-Rahman bin Abi Bakr، 1394 AH، Perfection in the Scienceof the Qur'an، (In Arabic)، achieved by: Muhammad Abu al-Fadl، (d.i)،Egypt،publisher:TheEgyptianGeneral Book Authority.
36- Al-Tabari، Muhammad bin Jarir، 1420 AH، Jami` al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an، (In Arabic)، verified by: Ahmad Muhammad Shakir، 1st edition، Beirut، publisher: Al-Resala Foundation.
37- Al-Uthaymeen، Muhammad bin Saleh، 1424 AH، The Names and Attributes of God and the Position of Ahl al-Sunnah towards them، (In Arabic)، i 1، (d. m)، publisher: Dar al-Sharia.
38- Al-Uthaymeen، Muhammad bin Saleh، 1419 AH، Explanation of the Wasitiya Creed، (In Arabic)، investigation: Saad Fawaz Al-Samil، 5th edition، Riyadh - Saudi Arabia، publisher: Ibn Al-Jawzi House.
39- Al-Uthaymeen، Muhammad bin Salih، 1421 AH، The Optimal Rules in the Attributes of God and His Most Beautiful Names، (In Arabic)، 3rd Edition، Medina، Publisher: The Islamic University.
40- Al-Omrani، Yahya bin Abi Al-Khair، 1419 A.H.، Victory in response to the wicked Mu'tazila، (In Arabic)، investigated by Saud Al-Khalaf، 1st edition، Riyadh، Saudi Arabia، publisher: Adwa' al-Salaf.
41- Al-Makhzoumi، Mujahid bin Jabr، 1410 AH، Mujahid's interpretation، (In Arabic)، investigation: Dr.Muhammad Abd al-Salam، 1st edition، Egypt، Publisher: House of Modern Thought.
42- Al-Karmi، Mar'i bin Yusuf، 1410 AH، removing suspicion and deception from those who protest against committing sins with predestination، (In Arabic)، investigation: Asaad Muhammad Al-Mughrabi، 1st Edition، Makkah Al-Mukarramah - Saudi Arabia، publisher: Dar Hira.
43- Ergasus، Talal bin Mustafa، 1424 AH، Tawassul in the Book of God Almighty، (In Arabic)، i: The thirty-sixth year، Medina، Publisher: The Islamic University.
44- Afifi، Sheikh Abdul Razzaq bin Afifi (d. T.)، Fatwas and Letters of Sheikh Abdul Razzaq Afifi، (In Arabic)، (Dr. I)، Riyadh، Publisher: The Permanent Committee for Scholarly Research and Ifta.
45- - Ali، Jawad، 1422 AH، the detailed in the history of the Arabs before Islam، 4th edition، (In Arabic)، (d. AD)، publisher: Dar Al-Saqi for publication and distribution.
46- Muslim، Ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi، (d. T.)، the abbreviated authentic chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God، peace and blessings be upon him، (In Arabic)، investigation: Muhammad Fouad Abd al-Baqi، (d. i)، Beirut، publisher: Ihya House Arab heritage.

47- Malkawi، Muhammad Ahmad، 1405 AH، the doctrine of monotheism in the Noble Qur’an، (In Arabic)، i 1، (d. M)، publisher: Dar al-Zaman Library.
48- Al-Harawi، Muhammad bin Ahmed، 2001 AD، Refinement of the Language، (In Arabic)، Editing: Muhammad Awad Mereb، 1st Edition، Beirut، Publisher: House of Revival of Arab Heritage.
49- Al-Wahidi، Ali bin Ahmed، 1415 AH، the mediator in the interpretation of the Glorious Qur’an، (In Arabic)، achieved by: Adel Ahmed and others، 1، Beirut - Lebanon، publisher: Dar al-Kutubal-Ilmiyya.